العدد الأول

السنة الثالثة

بسم الله الرحمن الرحيم

المسلمون

مجلة إسلامية جامعة
تصدر مع غرة كل شهر عربى
سنتها عشرة أعداد

صاحب الامتياز
ورئيس التحرير
سعيد رمضان

الإدارة
٣٢ شارع المنيل
بالروضة بالقاهرة
تليفون : ٢٤٤٥٥

الاشتراكات
١٠٠ عن سنة كاملة
٦٠ عن نصف سنة
للطلاب وجنود الجيش
٨٠ عن سنة كاملة
٤٠ عن نصف سنة
٢٥ عن ثلاثة أعداد
يضاف إليها أجرة البريد خارج القطر

ربيع الأول سنة ١٣٧٣ — نوفمبر سنة ١٩٥٣

بين يدى العام الجديد

باسم الله وعلى بركته .

وفى نور رسالته المشرق الذى هدى هذه المجلة سبيلها فى عاميها الأولين، وهو ذا يضىء مطالع عامها الجديد فى العتمة الدامسة من كذب الحياة والناس .

وفى ركب مبارك من مشاعر آلاف المسلمين فى أنحاء دار الإسلام ، هم أسرة « المسلمون » التى احتضنت رسالتها من أول يوم ، والتقت على دعوتها لقاء دائما زاخرا بالحياة والوعى . . .

باسم الله وعلى بركته ، وفى هذا النور ، وبين يدى هذا الركب المبارك — نخطو الخطوة الثالثة فى طريقنا الطويل ، داعين الله وحده أن يحسن النية ويبارك القصد ، ويأخذ بيدنا إلى حيث يحب ويرضى .

* * *

كانت « المسلمون » أملا يداعب النفس ، وحاجة يحسها العاملون للإسلام فى كل قطر ، وفكرة لم يزل ينضجها التأمل فى أحوال المسلمين ، وفى بواكير نهضتهم النامية ، حتى أذن الله أن تصدر فى أول فرصة مواتية ، ووراءها عناصر

العدد الأول — السنة الثالثة

بسم الله الرحمن الرحيم

المسلمون

مجلة إسلامية جامعة

تصدر مع غرة كل شهر عربى

سنتها عشرة أعداد

صاحب الامتياز
ورئيس التحرير
سعيد رمضان

الإدارة
٣٢ شارع المنيل
بالروضة بالقاهرة
تليفون: ٢٤٤٥٥

الاشتراكات
قرش
١٠٠ عن سنة كاملة
٦٠ عن نصف سنة
للطلاب وجنود الجيش
٨٠ عن سنة كاملة
٤٠ عن نصف سنة
٢٥ عن ثلاثة أعداد
يضاف إليها أجرة
البريد خارج القطر

ربيع الأول سنة ١٣٧٣ — نوفمبر سنة ١٩٥٣

بين يدى العام الجديد

باسم الله وعلى بركته .

وفى نور رسالته المشرق الذى هدى هذه المجلة سبيلها فى عاميها الأولين، وهو ذا يضىء مطالع عامها الجديد فى العتمة الدامسة من كذب الحياة والناس .

وفى ركب مبارك من مشاعر آلاف المسلمين فى أنحاء دار الإسلام ، هم أسرة « المسلمون » التى احتضنت رسالتها من أول يوم ، والتقت على دعوتها لقاء دائما زاخرا بالحياة والوعى . . .

باسم الله وعلى بركته ، وفى هذا النور ، وبين يدى هذا الركب المبارك — نخطو الخطوة الثالثة فى طريقنا الطويل ، داعين الله وحده أن يحسن النية ويبارك القصد ، ويأخذ بيدنا إلى حيث يحب ويرضى .

* * *

كانت « المسلمون » أملاً يداعب النفس ، وحاجة يحسها العاملون للإسلام فى كل قطر ، وفكرة لم يزل ينضجها التأمل فى أحوال المسلمين ، وفى بواكير نهضتهم النامية ، حتى أذن الله أن تصدر فى أول فرصة مواتية ، ووراءها عناصر

ثلاثة تمكن لها : أمل ، وحاجة ، وفكرة ؛ ومن وراء ذلك كله سر الله الذى أسلمنا له القياد ، وعوّلنا عليه فى المبدأ والنهاية .

* * *

وإنما أسميناها « المسلمون » ، وهو اسم وجدناه فى أنفسنا ولم نتكلفه لها ، إعلانا عن الحقل الواسع الذى نؤمن بوحدته : وحدته فى آلامه وقضاياه ، وفى أمانة الله فى عنقه ما دام أهله ينتسبون إلى الإسلام . وكنا نعلم من يوم أسميناها كذلك أن النسبة إلى الإسلام لا تثبتها شهادات الميلاد ، ولا يمنحها العدد الضخم من مئات الملايين فى الشرق والغرب ، ولكنها دعوى يجب أن يقوم برهانها فى عقائد أصحابها وأخلاقهم ، وسائر أحوالهم ؛ وهى بغير ذلك نسبة ظالمة للإسلام ، وحجة عليه لا له ، وكذبة يجب أن يبرأ منها . وسبيل ذلك الذى اتخذناه هو أن نقدم « المسلمون » — وهى الصفة التى عرفنا أنفسنا بها ، وعادتنا قوى الدنيا من أجلها — عنوانا لما يجب أن نكون عليه ، وردًّا للذين يفترون علينا الكذب ، فنحن المسلمين بالرغم من كل ما نعانيه لا نزال ننطوى على أنضر المشاعر ، وأروع أسباب القوة والحياة ، وحسبك فى ذلك أن تطوف بالعالم الإسلامى كله مدنه وقراه ، وتتحسس الحنين العميق إلى معانى الإسلام ، وشعور الندم على تفريط الماضى ، والأمل المشبوب الذى لم يطفىء جذوته الحديد والنار ، والقلاقل المتصلة التى تعلن عن حياة المسلمين تحت مطارق الفتن من كل لون ، وإزاء مؤامرات التاريخ الطويلة التى لم ترْع فيهم إلاًّ ولا ذمة ! !

ثم إن « المسلمون » إعلان آخر عن رابطة أصيلة لا تعرف بين المسلم والمسلم حدودا من الدم أو اللغة أو اللون أو الأرض أو غير ذلك مما قطع وشائج الناس دون أساس من الهدى والحق ؛ وهى رابطة حفظت على المسلمين دينهم وكرامتهم حين حافظوا عليها ، ولم يكن يجرؤ عاد على أن يمس من جسدهم الواحد عضوا بأذى ؛ ولم تكن هذه الرابطة بين المسلمين إلا خيراً للناس كافة : فهى لم تحتكر المثل والقيم الفاضلة لأصحابها ، ولكنها وقفت بكل قواها لتنتصر للعدل ولو من نفسها : « اعدلوا ولو كان ذا قربى » . ولكن أخوة الإسلام هذه عانت كثيراً من عصبيات طارئة على أقطاره ، ووطنيات وضعت بين المسلمين حدودا غير حدود الله ، وأخذتهم من جانب صادق فى أنفسهم : هو حب الإنسان لوطنه وقومه ، إلى حيث أنستهم

مواريث دينهم ، وأفقدتهم الجندية للحق الذى لا يعرف الحدود ، وجعلت قضيتهم القديمة مع أعدائهم العتاة قضايا متفرقة ، فَغُلبوا فيها جميعا ، وصدق فيهم نذير الله : « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » .

إن إيقاظ هذه الرابطة الأصيلة بين المسلمين ، وهى والحمد لله مركوزة فى طواياهم ، جزء من رسالة « المسلمون » دأبت على تحقيقه من عددها الأول ، وسبيلها فى ذلك تغذية معانى الإسلام فى أنفسهم ورؤوسهم ، وعرض حقائق التاريخ التى جهلوها أو نسوها ، ومطاردة الأوهام التى لم يمكن لها إلا الغفلة عن الله وسوء فهم الإسلام .

* * *

وثم أمر آخر جليل ، هو أن يكون بين وحدات الحركة الإسلامية فى مختلف الأقطار صلة دائمة تتجاوب فيها أرواحها وعقولها ، وتتبادل تجاربها بالقدر المتاح ، وذلك أمر إن لم يتم فى هذا الطور من تاريخنا الحديث ، فنخشى أن يستعصى فيما بعد ، فإن الوحدة الفكرية فى العصر المريد الذى نعيش فيه لا بد أن تستقر أصولها الموحدة فى الأذهان اليانعة البريئة وهى بعد على براءتها ، قبل أن تدلف إليها الأفكار الخاطئة من حيث لا تدرى ؛ وما أكثر مداخل السوء فى أفكارنا التى اختلطت ثقافتها ، وقام بينها وبين كتاب الله وسنة رسوله حجاب أليم من مواريث متباينة !

إن إيجاد هذه الصلة بين وحدات الحركة الإسلامية جزء آخر من رسالة «المسلمون» وسبيلها فى تحقيقه أن تلتزم موازين الكتاب والسنة فى تناول كل مسألة ، وألا تتورط فى الخلافيات التى لا فائدة منها فى هذه المرحلة من تاريخ المسلمين ، وأن تضم فى أسرة تحريرها قادة الحركة الإسلامية فى كل قطر ، ونرجو أن تكون قد قطعت فى ذلك شوطا ، ولعلها تكون أعون على تحقيقه فى عامها الجديد .

* * *

والدعوة الإسلامية تشق اليوم طريقها فى عصر تقدم فيه العلم المادى ، وتغيرت فيه أساليب الكلام والكتابة ، وتطورت طرائق محاربة الإسلام إلى وسائل أشد خبثاً وأمعن فتكا ، تتخذ ثوب العلم ، وتستغل فى شبابنا المثقف جهله بالإسلام ، ومركب النقص فيه إزاء ما يشاهده من ضخامة الحضارة المادية لتثير فى رؤوسه الشك وتقطعه عملياً عن الإسلام ، ولا ينكر أحد أنها نجحت فى ذلك إلى حد كبير !

ونحن مسئولون أن نواجه هذه الحرب بأسلحتها ، وأن نرد على دعوى العلم بالعلم ، وأن نستعمل أسلوب العصر فى مخاطبة أهله ، وأن نقدم للمشكلات المستحدثة حلولها التى تحقق بها الشريعة مصالح الناس ، وهى مسئولية هائلة سيحاسب الله عنها كل القادرين على الاضطلاع بها ، سواء أكانوا ممن علموا شئون الدين واغفلوا شئون الدنيا ، أو كانوا ممن علموا شئون الدنيا ولم يبالوا بما يطالب به الدين ؛ كلا الفريقين مسئول لأن عقله أمانة الله لديه ، ولأن الدين والدنيا فى الإسلام وحدة يجب أن يحكمها أمر الله : « إنَّ السَّمعَ والبصرَ والفؤادَ كلُّ أولئك كان عنه مسئولا » !

ولقد حرصت « المسلمون » على أن تقوم بنصيبها فى ذلك ، وتأثر بهذا أسلوبها وبحوثها ، وقدمت لقرائها فى عاميها الأولين حلقات من دراسات ممتازة فى الاجتماع والاقتصاد والقانون والسياسة ، وفى معانى الكتاب والسنة وتحليل تاريخ الإسلام الحديث ، وهى ماضية بإذن الله فى ذلك ، مستعينة بكل مايتيسر لها من أسباب الكمال .

على أنه لم يفت « المسلمون » وهى تجند هذا الزاد العلمى أن تعنى بالجانب الأصيل فى كيان الإنسان ، وأن تزكى مشاعره الربانية التى لا ينفع بغيرها علم ، والتى جعلها الله قبس النور فى صدره ، وأقام منها الوازع القوى على معانى الخير ، وأدار عليها دورة الحياة على هذه الأرض : « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » و « المسلمون » حين تعنى بذلك تعتبره الأساس الأول لحضارة الإسلام . . الأساس الذى أغفلته الحضارة المادية فكانت بعلمها وبالاً على الناس ودمارا للمثل العليا فى الفرد والمجتمع !

* * *

بقى أن نقول إن رسالة « المسلمون » الضخمة لا تتحقق إلا إذا تعاونا جميعاً على تحقيقها . ومن حقنا عليك أيها الأخ القارىء أن تمد إلينا يدك ، وأن نستشعر دائماً صحبتك ، وأن تمدنا دائماً برأيك ونصيحتك ، وأن تكون لسان صدق لدعوة الإسلام : فى نفسك وأمتك .

والله المسئول أن يتقبل العمل الصالح ، وعليه وحده قصد السبيل .



هذا القرآن

« إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ »

لفضيلة الأستاذ حسن الهضيبي

المرشد العام للاخوان المسلمين

« مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ » (الآية ٢ سورة فاطر)

* * *

كانت السيارة تطوى بنا الأرض ونحن ننتقل بين قرى الصعيد لزيارة شعب الإخوان المسلمين . وكنا نتبادل الملاحظات على سير دعوة الإسلام واستجابة الناس لها، ووددنا لوأن الناس كانوا فى ذلك سواء فاستجابوا لها وعلموا أن أكثرهم لم يكونوا مسلمين إلا بالاسم، وابتغوا إلى الله سبيل الهداية ،وكانوا ربانيين فى كل شىء ... إلى آخر ما يدور عليه الحديث أثناالسفر بين قرية وأخرى فى هذه الشئون . وتلا أحدنا هذه الآية الكريمة : « ما يفتح الله للناس من رحمة ... » إلى آخرها . وجعلت أديرها فى ذهنى ، واعتزمت أن أجعلها موضوعاً « للمسلمون » ولكن الحركة المستمرة أنستنى آناً ، ولم تدع لى أن أكتب آناً آخر ، حتى كانت هذه الأيام التى انصدع القلب فيها مرات ومرات لقول بعض الناس إننا فى العصر المكى الذى ليس فيه تشريع وسيأتى التشريع عندما يأتى العهد المدنى و إن قول الله تعالى : « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » خاص باليهود .

وقرأت رسالة من الخارج لكاتب يعتبر نفسه من كبار الكتاب ، ذكر فيها أنه كان فى سهرة أقامها أحد الألمان فأثارت سيدة موضوع نظم الحكم ، ودافع فيه الشيوعى عن الشيوعية والديمقراطى عن الديمقراطية والدكتاتورى عن الدكتاتورية ، وجاء دور رجل الدين فقال : إن العالم لا بد أن يرجع إلى الدين ويعترف به ، ولقد كانت الكنيسة الكاثوليكية مسيطرة — وأظنها لا تزال — على السياسة الدولية . وهنا تدخل

الكاتب المسلم : لكن هل كان حكم الكنيسة عادلا على إطلاقه أم أن التاريخ قد ضجّ من ظلم رجال الدين ؟ فقال القس : الدين برىء والرجال وحدهم المسئولون ، فلا تخلط بين مسئولية الدين ومسئولية الرجال . وعاد الكاتب المسلم يقول : وكيف نستطيع أن نوفق بين الأسس الدينية وأسس الحكم الوضعية ؟ فقال القس : إن فى وسع المتحررين من رجال الدين أن يوفقوا بين الروحانيات والماديات ، وإن دينكم الإسلامى كان دائماً دين سياسة وحكم ، وقد نجح فى هذا نجاحاً مشهوداً فكيف تعارض ؟ وانتهى الاجتماع على لا شىء ، وقال الكاتب المسلم : فهل يا ترى يتمخض العصر الحديث عن مذهب خامس يجمع محاسن كل هذه المذاهب ويتفادى مساوئها ؟ .. ثم يجيب : هيهات ! !

فهذا مسلم يطوع لنفسه أن يقول ما يستفاد منه أننا كلما مضينا فى التاريخ حقبة ، وفتر من فتر عن دينه انصرفنا عن الدين وكنا فى العصر المكى الذى لا تشريع فيه ، ويبقى هذا العصر المكى زمناً يطول حتى يبلغ الأجيال ، وقد يقصر ، وحينئذ يأتى العصر المدنى فنأخذ بما فيه من تشريع — وهذا يستتبع أن التشريع الذى نأخذ به من الشريعة الإسلامية ليس واجباً أيضاً — فالزواج والطلاق والعدة والنفقة والنسب والميراث والهبة والوصية إلى غير ذلك مما نأخذ به من أحكام القرآن والسنة يمكن أن يُتجاوز عنه ونأخذ مثل هذه الأحكام مثلا من القانون الإنجليزى أو قوانين الدول والأديان الأخرى ؛ وكأنه يزكى هذه الفكرة بأن قول الله تعالى : « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » كما قال الطبرى ، خاص باليهود . وقد ذكر الطبرى آراء الفقهاء وذكر أن الآية خاصة باليهود ولكنه قال إنها حكم المؤمنين . والقرآن مملوء بالآيات التى تفيد وجوب الحكم بما أنزل الله ، ولكن بعض الناس لا يعجبهم إلا أن يأخذوا ببعض قول الطبرى دون بعضه ودون أقوال سائر المفسرين ودون آيات الله البينات الأخرى .

وهذا الكاتب المسلم يقول له القس الكاثوليكى : وإن دينكم الإسلامى كان دائماً دين سياسة وحكم وقد نجح فى هذا نجاحا مشهوداً فكيف تعارض ؟ ! ويأبى الكاتب المسلم إلا أن ينسب للإسلام عيوبا فيتحرق شوقا إلى أن يتمخض العصر الحديث عن

مذهب خامس يجمع محاسن هذه المذاهب ويتفادى مساوئها ولكنه يقول : هيهات ! فستبقى هذه المذاهب وفيها الإسلام بحسناتها وسيئاتها !...

ليس من غرضي هنا أن أقيم الدليل على خطأ هؤلاء الناس ولا أن أرشدهم إلى مواضع الصواب . فأما الذي يتحدث بما جاء في تفسير الطبرى فلا شك أنه يعلم من أمر الدين ما أعلم في هذه المسائل ولكنه اختار لنفسه أن يتكلم بما تكلم به إرضاء للناس ، وليس من الحق أن ننشد مرضاة أحد بغضب الله مهما تكن المصلحة ومهما يكن الخوف ؛ ومن فعل ذلك فقد عبد الهوى والله تعالى يقول : « أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون » ! والرسول يقول : « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به » والدين بعد ليس تشريعاً فقط وإنما هو تطهير وتزكية .

وأما الآخر فإنه يجهل أحكام الإسلام جهلاً تاماً وإلا فإننا نتساءل ما هو الحكم الذي يتعارض فيه الإسلام مع محاسن المدنية الحديثة إن صح أن المدنية تكون حجة على الإسلام ، وما هي المساوئ التي يكنها الدين الإسلامي وتمنع من الأخذ به في الحكم والسياسة ؟

ألم يجعل الإسلام الحكم لله وحده وأن العباد مأمورون بألا يحكموا بأهوائهم وشهواتهم ؟ !

ألم يجعل الحكم منتخباً (بأى شكل كان) ، ولم يسلم بأن يكون الحكم بالوراثة ، وأن يكون تعيين الموظفين مبنياً على الكفاية ؟ ! يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من أمَّر على عشرة من المسلمين واحداً منهم وهو يعلم أن في العشرة من هو خير منه فقد خان الله وخان رسول الله وخان جماعة المسلمين » .

ألم يجعل المال لله وأن العباد فيه مستخلفون لا يجوز لأحدهم أن ينفقه في غير ما أحل الله ، وكان المال الذي يجبى من الخلق ويصير إلى يد الحاكم ليس له وإنما هو لله يصرفه في شئون عباده ومنفعتهم فلا يحق له أن يصرف منه قرشاً في غير هذا الوجه ؟ !

ألم يجعل للفقراء حقاً فى أموال الأغنياء يجعلهم يعيشون كما يعيش بنو الإنسان ولا يحيون حياة الحيوان ؟!

ألم يجعل التعليم إجبارياً للرجل والمرأة على السواء ، وجعل الحكمة ضالة المؤمن يتلقفها أنَّى وجدها ؟ !

ألم يجعل دماء الناس وأموالهم وأعراضهم عليهم حراما ؟!

نعم إن فى الإسلام مساوئ فى نظر هؤلاء الناس : إنه لا يبيح الخمر ، ولا يبيح الزنا ، ولا يبيح المراقص وانتهاك الحرمات ، ولا يسمح بأن ينادى بعض الكتاب بإنشاء « لوكاندات وكازينوهات » تؤتَى فيها الموبقات ويلعب فيها القمار إكثاراً للمال الحرام فى يد المسلمين . ولا يسمح بأن يبدو النساء عرايا فى الطرقات ولا على « البلاجات » ولا أن يختلطن بالرجال اختلاطا فى غير حدوده .

هذه وأمثالها مما يضايق الناس من الإسلام هى العيوب التى تزهدهم فى الإسلام من غير أن يدرسوه ويعرفوه .

فيارب لمَ لم تفتح لهؤلاء الناس من رحمتك ، وتبصرهم بشريعتك ؟ !

إنى أومن بقولك : « ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها » فاللهم افتح لهم هذه الرحمة فلا رحمة أكبر من معرفة دينك ولزوم صراطك المستقيم : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا » .

اعتـــذار

يعتذر فضيلة أستاذنا البهى الخولى عن كتابة قصص القرآن هذا العدد ، ويعد إخوته القراء أن يوالى ذلك فى الأعداد القادمة بمشيئة الله تعالى .

التحرير

الجامعة الإسلامية

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد أبى زهرة

أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق بجامعة القاهرة

(٢)

١ — ابتدأنا ذلك البحث ، فعرض لنا فى أثناء دراسته وعرضه الحج ، فتكلمنا فيه ؛ إذ الحج هو المؤتمر الإسلامى ، وشميرة الإسلام الكبرى الدالة على وحدته ، الجامع لتفرقه ، الذى يشعر المسلمين كل عام أنهم أمة واحدة ، وأنهم إذا فرقتهم الأرض أو العصبيات ، أو الأهواء الجامحة عند الكبراء الذين لم تشرب قلوبهم محبة الإسلام ، فإن الحج مذكِّرٌ لهم بأنهم إخوة ، كما تذكرهم الصلاة — إن اعتبروا معناها — أنهم جماعة موحدة القِبلة ، فيجب أن توحدهم الغاية . وقد جمعتهم فى هذه الأيام الآلام ، فَحُقَّ أن تجمعهم الآمال .

٢ — وإنا إذ نعاود القول فى الجامعة الإسلامية تشرق علينا ذكرى الرسول بلألائها ، وتملأ نفوسنا ذكرى الميلاد المحمدى بعبيرها ، فنذكر محمداً الذى جمع العرب ، ولَمَّ شعثهم ، وجعل منهم جماعة موحدة الغاية ، بعد أن توزعتهم الصحراء ، وتأشبت بينهم إحَنُ العصبية ، والدعاوى الجاهلية ، ثم نذكر صوته وقد عمت دعوته ، وسادت هدايته ينادى بصوت رهيب قوى ، تتجاوب أصداؤه فى كل جوانب الأرض ، وتردده الأجيال نوراً مشرقاً فى قلب كل من أشرق الإسلام فى قلبه : « كلكم لآدم ، وآدم من تراب » وينادى أيضاً : « ليس مِنَّا مَنْ دعا إلى عصبية » ويصيح فى العالم كله صيحة الحق بقول الحق : « يأيها الناس إنَّا خلقناكم مِن ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم » .

نذكر ذلك كله ، ونذكر عموم الرسالة المحمدية ، وشمول رحمتها للناس أجمعين : « ومَا أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً » « ومَا أرسلناك إلا رحمة للعالمين » ،

وفى هذه الرسالة نشر للسلام فى ربوع الأرض : « يأيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة ، ولا تتبعوا خطوات الشيطان ، إنه لكم عدو مبين » .

نذكر كل ذلك عند ذكرى ميلاد الرسول الكريم صلى الله عليه ، ونذكر معه أنه لم يقتصر فى دعوته الجامعة إلى محو العصبية المفرقة على القول ، بل أردفه بالعمل ، فآخى بين المهاجرين والأنصار ، وبين الفارسى والقرشى ، وبين الأنصارى والحبشى ؛ فالتقى الجميع عندمأدبة القرآن ، وحكم الإسلام سلمان الفارسى ، وعثمان القرشى ، وبلال الحبشى ، وفارس الإسلام على ؛ فكان ذلك الجمعُ المانعُ من كل فرقة شعارَ الإسلام الخالد إلى يوم القيامة ، وكان ذلك التأليف النفسى الحجة القائمة على كل من يفرق الجماعة الإسلامية بالإقليمية أو الجنسية ؛ فكل ذلك من عصبيات الجاهلية التى تفرق المسلمين ، وتمكن من رقابهم أعداء الدين .



٣ — ولقد كانت حياة الرسول نفسها دعوة قوية إلى محو الفروق القَبَليّة ، فمع أنه القرشى الذى كان من أوسط قريش نسباً ، وبيته من ذؤابة العرب ومكان الرأس والرياسة فيهم ، مع ذلك كله فتح قلبه لكل إنسان من غير نظر إلى قبيلة ، واحتسب نفسه نسيباً وقريباً لكل تقى ؛ وأقرب الناس به نسباً أتقاهم ؛ وأكثرهم به رحماً أقواهم إيمانا وأكثرهم إحسانا ، فهو يقول فى الأنصار من الأوس والخزرج : « لو سلك الناس شِعْباً وسلك الأنصار شِعباً لسلكت شِعب الأنصار ؛ والذى نفسى بيده لولا الهجرة لكنت امْرَأً من الأنصار ، اللهم ارحم الأنصار ، وأبناء الأنصار ، وأبناء أبناء الأنصار » تلك مقالة قالها ، وأثرت فيهم فبكوا حتى أخضلوا لحاهم .

٤ — أخص دعوة الرسول عليه السلام إذن تكوين جماعة فاضلة تهدى الناس جميعاً إلى أقوم مناهج الحياة الكريمة وأفضل السلوك القويم ؛ ولذا قال تعالى : « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا » وحبل الله كما فسره النبى صلى الله عليه وسلم وهو مبين الكتاب وموضح حكمته « هو كتاب الله تعالى » فالإسلام فى غايته هو تكوين مدنية فاضلة تختفى فيها العنصرية ، وتختفى فيها الطبقات ، ويكون الإنسان فيها أخا الإنسان ، فلا أنساب بينهم ، ولا إقليمية مفرقة . وإذا كان الإسلام دين التوحيد الخالص الذى تتجه فيه النفس الإنسانية إلى عبادة الله وحده ، لا شريك

له فى العبادة ، كما لا شريك له فى الخلق والتكوين والتدبير والسلطان ، إذا كان الإسلام دين التوحيد على ذلك النحو ، فهو أيضاً دين الوحدة الجامعة التى لا تفرقها عصبية ولا جنسية ولا إقليمية ، فهو دين الوحدة بين المؤمنين ، ثم هو دين الوحدة الإنسانية إن ساد السِّلْم ، ولم يكن اعتداء من كافر على مؤمن ، وهو بهذا دين الكرامة الإنسانية العالية ؛ ولذا قال تعالى : « ولقد كرَّمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ، ورزقناهم من الطيبات ، وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » .

٥ — كان المسلمون جميعاً ، بمقتضى هذا المنطق القرآنى والهدى المحمدى ، أمة واحدة ، وقد اجتمعوا من العرب والفرس ، والروم والحبش كما ذكرنا ، فكان صهيب الرومى مع سلمان الفارسى ، وهما مع بلال الحبشى وأبى بكر القرشى ، فكانوا جميعاً أبناء الإسلام . ويروى أن بعضاً من المسلمين العرب تفاخروا بأنسابهم فى حضرة سلمان الفارسى وهو صامت لا يتكلم ، فقالوا له : ابن من أنت ؟ فقال : أنا ابن الإسلام ، فبلغ ذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، فبكى وقال : وأنا ابن الإسلام وكررها ثلاثا . رضى الله عنه ، وجزاه عن الإسلام خيراً . فالوحدة الإسلامية جزء من حقيقة الإسلام ، فإذا كان أول ركن فى الإسلام الوحدانية فى العبادة والخلق والخضوع لله سبحانه وتعالى ، فوحدة المؤمنين الفاضلة من أركانه ، وغاية سامية لهذا الدين الحكيم ، فهو دين الوحدانية ، ودين الوحدة الجامعة التى لا فرقة فيها .

٦ — تلك معانٍ رددناها فى الماضى ، والآن نريد أن نتكلم فى وسائل تكوين الوحدة فى هذا العصر بشكل يناسب روحه ويتفق مع النسق المعروف الآن فى تكوين الأمة من الجماعات المتفرقة فى الأمصار والأقطار . ولكن قبل أن نخوض فى ذلك نناقش بعض الاعتراضات التى ذكرها لنا قراء لما كتبنا أولا . فقد اعترض أولئك القراء على فكرة قيام الدولة على الدين ، كما لم يسوغوا قيامها على آراء اجتماعية ، فقد قالوا إن الآراء كالأديان لا يمكن أن تتكون بها جماعة موحدة الغاية والهدف مشتركة فى النزوع والأغراض والمقاصد ، وإن قانون التجمع الذى هو أساس قيام الدول والجماعات يتقاضى وحدة المكان ، ثم وحدة الأرومة ، ووحدة اللغة فى الأمة الواحدة ؛ فلا يمكن إذن أن تقوم دولة مع اختلاف اللغات ، ومع تباعد الأقطار ،

ومع تباين السلائل ذلك التباين التام . ألم تر إلى أمريكا مع محاولتها التأليف بين عناصرها نجد التباين بين السلائل منع الوحدة فيها ، فلم يمكن اندماج الزنوج فيها مع البيض ، وإن قيام البلشفية بالاشتراك فى المذهب لا يعتبر حجة ؛ لأنه لم تتكون منها دولة واحدة ، بل هى دول ؛ فالصين الشيوعية دولة قائمة بذاتها ، وكل دولة من الشيوعيين قائمة بذاتها ، مع تقارب الشيوعية الأوربية من روسيا فى السلالة لأنها جميعا من العنصر السلافى ، واللغات فيها متقاربة ، بل إنها جميعاً تنتهى إلى أصل واحد ؛ ولكن المكان مختلف ، فلم يوجد التجمع فى المكان الذى هو ركن من أركان الدولة .

٧ -- وإنا نجيب عن ذلك بجوابين :



« أحدهما » أن دولا قامت من غير أن تتحد فى الأرومه واللغة فتكونت منها دولة موحدة فى الآمال ، ونظم الحكم العامة ، والسياسية العامة والاقتصاد ، مع أنها مختلفة السلائل ، مختلفة اللغات فى الأصل ؛ فكان المكان وحده هو الجامع ، وتلك هى الولايات المتحدة الأمريكية التى ضربوها لنا مثلا ، وهى التى تتحكم الآن فى العالم سياسيا واقتصاديا ، وتحاول أن تتحكم فيه اجتماعيا ، بما تفرضه على العالم من آراء فى المؤسسات الاجتماعية الدولية ، فكان تكونها متحققا من غير اتحاد السلالة واللغة ، وهما عنصران قد ادُّعِىَ أنهما ركنان أساسيان فى وجود الدولة الموحده ، وكان تخلفهما فى تكوين تلك الدولة الكبيرة الموحدة فى السياسة والاقتصاد والاجتماع دليلا على بطلان الدعوى فى أنهما ضروريان . ثم إن اتحاد المكان لم يكن المكون أيضا بدليل أنه وجد فى الزنوج الأمريكان ، ومع ذلك لم يتم التآلف بينهم وبين غيرهم من عناصر هذه الدولة ؛ حتى اضطرهم اضطهاد البيض لهم إلى أن يهجروا أمريكا إلى أفريقيا ، وشعارهم : حب الحرية جاء بنا إلى هنا .

« ثانيهما » أن قيام الدولة على أساس العنصرية إنما هو أثر من آثار الأثرة المتناحرة فى الإنسان ؛ ذلك لأن العنصرية تفرض دائما تفضيل عنصر على عنصر ، وهى شكل من أشكال التجمع الحيوانى إذ تجتمع فصيلة من الفصائل تتحيّز مكاناً تغالب عنه الآخرين ؛ ولذا كانت العنصرية هى السبب فى كثير من الحروب ، وسببا

فى كثير من الظلم الإنسانى القائم فى هذا العالم ، وإنك لترى تلك العنصرية مسيطرة على الأمم المستعمرة التى تفرض سلطانها على غيرها بدعوى أنه من الأمم الملونة ؛ وأن الدم النقى لا يسرى إلا فى البشرة البيضاء أو الشقراء .

وإن ذلك قد أدّى بلا شك إلى تلك الويلات والرزايا التى تئن تحت أعبائها الإنسانية وترجو الخلاص منها ولات حين مناص ، وكلما تجمعت جماعات الدول القائمة على ذلك الأساس لدفع ويلات الحروب المفنية عن تلك الإنسانية المعذبة سرعان ما تغلب عليها العنصرية الظالمة ، فتتجمع لتأخذ فى أسباب حرب جديدة لا لرفع الإنسان من كبوة الحرب السابقة .

٨ — هذان جوابان ، على أننا لا نطالب بقيام دولة إسلامية بمعنى حكومة واحدة إسلامية للجماعات الإسلامية فى مشارق الأرض ومغاربها ، بل نطالب بقيام وحدة إسلامية ، والوحدة أعم من الدولة الإسلامية ؛ لأن الوحدة قد تتحقق مع تعدد الدولة والحكومات الإسلامية فى شكل اتحاد جامع ، أو جامعة تلمُّ المتفرق من أمورنا مع بقاء كل حكومة قائمة كما هى ، فليس الغرض من إيجاد الجامعة الإسلامية التى طالب بها الدين وحدة الدولة ، بل الغرض وحدة الجماعات الإسلامية ، أو إن شئت فقل وحدة الدُّول الإسلامية سياسياً وثقافياً واقتصادياً ؛ وأن تتلاقى القلوب المؤمنة على محبة من الله ورضوان ؛ فالغاية تحقُّقُ الإخوة الإسلامية ، وأن يكون المسلم فى عون أخيه المسلم أفراداً وجماعات ، سواء أكان العون حربياً أم كان اقتصادياً أو علمياً أو ثقافياً ، وأن تتحد الأقطار أو تتقارب حتى يتحقق التعاون ، ولا تكون محاجزات من سياسة أو غيرها تحول دون التعاون بين المؤمنين ، إجابة لأمر الله الكريم : « وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان » .

٩ — وقد قال لى قائل إن قيام اتحاد على أساس من الدين قد جُرِّب فى الماضى يوم كانت الكنيسة تعطى حق تولية الملوك وعزلهم ، وتمنحهم سلطة قدسية تُفرض على الشعوب فرضا ؛ بذلك استرق الملوك رعاياهم باسم تلك القدسية الممنوحة ، أو تلك التولية المبيحة ، فلا نعيد تلك التجربة ، والماضى نور الحاضر ، فلنقبس من نوره ما ينير لنا السبيل .

تلك كلمات لها موضع فى أوربا أو أمريكا ، ولكن ليس لها موضع بين المسلمين ؛ ذلك لأنه ليس فى الإسلام طائفة لها سلطة منح التولية ومنعها غير الجماعة الإسلامية نفسها ؛ فالأمة وحدها هى التى تولى وتعزل بمقتضى حكم الشورى المقرر فى الإسلام بقوله تعالى : « وأمرهم شورى بينهم » والشورى الحق توجب أن يكون ولى الأمر قد ولَّتْه الجماعة نفسها ، وارتضته حاكما لها ، وبايعته على الطاعة فى المَنْشط والمكْره من جانبها ، وعلى العدل وإقامة حقوق الله والعباد على أكمل وجه من جانبه ، وتوجب أن يكون مرجعه الأول والأخير هو الجماعة نفسها ، ممثلة فى أهل الشورى منها ، وهم الذين اختيروا لذلك بمقتضى اختيار الأمة أولا وبالذات ، أو بمقتضى ما أوتوا من علم فى الدين وشئون الحياة وتجارب السياسة ، وخبرة فى الاقتصاد والاجتماع وأحوال الجماعات .



وليس لأحد فى الإسلام أن يدَّعى أنه ذو سلطة قدسية ممنوحة تفرَض على غيره فرضا ويؤخذ بها قسرا ، فقد انقطع الوحى بانتقال محمد إلى الرفيق الأعلى ، ولم يبق للمسلمين إلا ما ترك من كتاب لله هو الحجة الدائمة إلى يوم القيامة ، والسنة النبوية الشريفة ؛ وفيهما المحجة البيضاء التى لا يضل سالكها قط . ومادعته بعض الطوائف الإسلامية من أن هناك وصياً أوصى إليه بالخلافة النبوية ، وأنه بهذا له قدسية الولاية لم يستمع المسلمون إليها ، ولم يجدوا فى كتاب الله وسنة رسوله نص صريح أو مشير إليها ؛ ولم يبق من أنصار هذه الفكرة إلا من يذكرونها من غير أن يعملوا بها ، وقد قامت الخلافة الإسلامية الحق على أساس من الاختيار والمبايعة الكاملة .

فإذا كانت الجامعة الدينية لم تتكامل فى أوربا لهذه المعانى ، فأسباب النقصان ليست عند المسلمين ، وإنما عند المسلمين نقيضها ، وعلى ذلك تكون موجبات الجامعة موجودة ، وموانعها زائلة ، فلم يبق إلا أن تتحقق بحكم المنطق المستقيم ، والفكر السليم

وسنفصل ذلك — بقدر ما نعلم — فى المقال التالى إن شاء الله تعالى ؛ وعندئذ نعتبر بقول الله تعالى : « واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألَّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها » .

نظام ربّانى

للأستاذ سيد قطب

إن الخاصية الرئيسية التى تفرد بها النظام الاجتماعى الإسلامى من سائر النظم الاجتماعية التى عرفتها البشرية قبل الإسلام وبعده ، هى أنه نظام ربانى ، وأنها نظم وضعية . ومن هذه الخاصية تنبع كل الخصائص التى تحدد طبيعة هذا النظام .

ولقد أشرنا إلى هذه الخاصية عند الكلام عن « طبيعة المجتمع الإسلامى »(١) فالآن نفصل القول فيها . .

إن النظم الاجتماعية الوضعية من صنع المجتمع ذاته ؛ سواء عن طريق فلسفة معينة يبتدعها أفراد ، ثم تعتنقها الجماعة وتتكيف بها ، وتضعها موضع التطبيق العملى فى الحياة كالمادية الجدلية ، التى بنيت عليها الماركسية ، ثم النظام الاجتماعى الذى تأخذ به روسيا الآن والدول التى تدور فى فلكها . . أو عن طريق تطورات واقعية فى حياة المجتمع ، تدفع به عملياً إلى أوضاع اجتماعية ونظم اقتصادية وسياسية ، وذلك كما وقع فى أوربا عند تحولها من نظام الإقطاع إلى النظام الرأسمالى ، تحت ضغط التحولات الواقعية فى حياة الجماعة .. وإن كان الغالب أن تتفاعل التحولات الواقعية مع الفلسفات النظرية ، وتؤثر فيها وتتأثر بها ، حتى يتم التطور الاجتماعى إلى نظام بعد نظام . وفى جميع الحالات نستطيع أن نقول : إن النظم الاجتماعية الوضعية كانت من صنع المجتمع ذاته . على أى من الاعتبارات التى أسلفنا .

فأما المجتمع الإسلامى فلم يسلك هذا الطريق ؛ لأنه برز إلى الوجود نتيجة نظام ربانى ، قائم على العقيدة الإسلامية ، والشريعة القائمة على هذه العقيدة ، فكان المجتمع الإسلامى بكل مقوماته وخصائصه انبثاقاً ذاتياً من هذه العقيدة ومن تلك الشريعة ؛

---

(١) « المسلمون » العدد الرابع من السنة الثانية .

التى ليس للبشر فيها من عمل إلا تلقيها ، والتكيف بها ، والتقيد بقالبها ، والنمو فى حدودها . ومن ثم فهو نتاج العقيدة والشريعة الربانيتين ، وهو على هذا الاعتبار نظام ربانى .

والله سبحانه وتعالى يقول فى الكتاب الكريم : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » . وهذا التعبير « أخرجت » يدل دلالة واضحة على حقيقة نشأة هذه الأمة ، وحقيقة النظام الذى يقوم عليه وجودها . فهى أمة مخرجة إخراجا ، وفق نموذج معين ، يحققه نظام معين . وهى لم تخرج نفسها وفق نموذج من تصوراتها العقلية ، أو ضروراتها الواقعية . إنما وضع لها نظامها من لدن خالقها ؛ وأخرجت للناس على وفقه إخراجا ربانيا .



وقبل أن ننتقل إلى تتبع بعض الآثار التفصيلية لتلك الخاصية الأساسية ، فى نظام المجتمع الإسلامى ، نحب أن نؤكد مبدأ هاماً يترتب على تلك الخاصية :

إن النظام الاجتماعى الإسلامى ، وقد انبثق من العقيدة الإسلامية ، وتكيف وجوده بالشريعة الإسلامية ، يجب أن يظل دائماً خاضعاً فى نموه وتجدده للأصل الذى انبثق منه ، وللشريعة التى كيفت وجوده . يجب أن تكون الشريعة الإسلامية هى المسيطرة على كل تطور فى نظام المجتمع الإسلامى ، وألا يترخص هذا النظام فى اتجاه من اتجاهاته الكلية أو الجزئية خضوعا لأوضاع أجنبية عن طبيعته ، تضغط عليه من الخارج ، بينما هو يملك تلبية جميع الحاجات المتجددة فى حدود قانونه هو ، وحسب اتجاهه الذاتى . وقد تضمّن فى صلبه طريقة مواجهة كل حاجة وكل ضرورة ؛ وطريقة تقدير الضرورات الواقعية ، التى لم يدع تقديرها للبشر جزافا ، إنما نص على بعضها صراحة ، وحدد طرق القياس على ما نص عليه ، ليظل تقدير الضرورات والحاجات محكوماً بقانونه الذاتى .

إن هذا النظام دقيق فى تكوينه ، ومتكامل فى مجموعه ، وكل صغيرة وكبيرة فيه متناسقة بعضها مع بعض ، وفق القاعدة التى يقوم عليها . وهو من الدقة بحيث تتغير طبيعته بدخول أى عنصر غريب عن هذه الطبيعة فى تركيبه . هو نظام غير قابل للترقيع . غير قابل لأن نستعير له « قطع غيار » من أى نظام وضعى ، لأن الاعتقاد

فيه والعبادة ، والسلوك والمعاملة كلها مترابطة ، وكلها متناسقة ، وكلها متفاعلة ، وكلها نابعة من عقيدة واحدة ، ذات أهداف مرسومة . وهى تنشىء آثارها الاجتماعية وفق تركيبها الذاتى . فلا تصلح معها آثار اجتماعية أخرى ، ناشئة من فلسفات أو أوضاع أجنبية ، مهما تكن فى ظاهرها بعيدة عن موضوع العقيدة ، كالمسائل الاقتصادية والمالية مثلا . وسنرى بعد قليل أن كل جزئية من جزئيات هذا النظام مهما بدت بعيدة عن العقيدة ، مرتبطة ارتباطاً وثيقاً ، ومتأثرة تأثراً عميقاً بتلك العقيدة .

ومع هذا فإن الإسلام لا يحرم الانتفاع بالتجارب البشرية فى كل مالا يمس أصلا من أصول الشريعة . فلا حرج فى الانتفاع بتجارب البشر فى تحديد الحاجات الاجتماعية المتجددة وضبطها بوسائل البحث المتجددة . ولا حرج فى الانتفاع بتلك التجارب فى وسائل تنفيذ المبادئ الإسلامية . إن مبادئ الإسلام ثابتة لا تتغير ، أما تحقيق هذه المبادئ فمتجدده . ومن ثم نملك الانتفاع بتجارب البشر فى هذا المجال وذاك . على ألا نصطدم سواء فى تحديد الحاجات الاجتماعية وضبطها ، أو فى وسائل تلبيتها وتحقيقها بمبدأ ثابت فى الإسلام ، ولا باتجاه أساسى من اتجاهاته الخالدة . .

ونضرب هنا بعض الأمثلة متعجلين بها مواضعها من هذا البحث ، لإيضاح ما نعنيه هنا :

إن الإسلام مثلا يجعل العدل المطلق ، بكل معانيه ، فى جميع مجالاته ، أصلا من أصول الحياة فى المجتمع الإسلامى . العدل فى تسوية البشر جميعا من ناحية النشأة ، والجنس والحقوق والواجبات . والعدل فى إتاحة فرص الحياة والنمو والعلم والعمل والتفوق لجميع من يقلهم الوطن الإسلامى ، دون حاجز من جنس أو لون أو طبقة أو نسب أو نفوذ مالى أو كائنا ما كان من الحواجز . والعدل فى الحكم والتقاضى دون تأثير من مودة أو شنآن » ودون تأثر بقيمة من القيم على اختلافها ، حتى الدينية منها (وسيأتى تفصيل هذا كله) . هذا من ناحية المبدأ فى ذاته ، فأما وسائل تحقيقه فهى غير محددة فى الشريعة . وقد حدد الفقه الإسلامى بعض الوسائل التى رآها مناسبة للعصر الذى نشأ فيه ؛ وما تزال هذه الوسائل قابلة للتجدد حسب ظروف كل بيئة ، وحسب التجارب البشرية النافعة فى هذا المجال .. ولنأخذ عدالة التقاضى مثلا ،

فهل تراها تتحقق بأن تكون هناك محكمة واحدة ، أو بدرجات من المحاكم ؟ تراها تتحقق بأن يكون القاضي عاما أو أن يتخصص القاضي وتتخصص المحكمة فى نوع من القضايا ؟ تراها تتحقق بفصل السلطة القضائية عن السلطة التنفيذية والسلطة التشريعية ، أو بأن يكون للقاضي أو لبعض أنواع القضاة ، أو لبعض أنواع المحاكم اختصاص تشريعي أو اختصاص تنفيذى . . الخ . . هذا كله متروك للأصلح من تجارب البشرية ، وللآراء المتجددة حسب الظروف المتجددة ، فى كل مكان وفى كل زمان . .

وإن الإسلام مثلا يجعل الشورى أساساً من أسس الحكم فى الدولة الإسلامية . . فأما كيف تتحقق الشورى على الوجه الأمثل فهذا مالم ينص عليه . ولقد وقعت فى المجتمع الإسلامى على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وبعده فى مسألة الخلاف وغيرها ألوان من الشورى . ولكن هذا الذى وقع لا يحدد جميع وسائل الشورى . بل إن ذلك متروك لما يجدّ من تطورات فى جسم المجتمع الإسلامى ، وفى ظروفه ، ومتروك كذلك لما يبتكر من وسائل الشورى الناجحة حسب التجارب المتجددة . فهل تتم الشورى على الوجه الأمثل بالتصويت العام ـ فى كل الشؤون أم فى بعضها ؟ ـ أم تتم بتصويت أهل الحل والعقد من ممثلى الأمة الذين لا يختلف عليهم ؟ أم تتم بواسطة ممثلين للنقابات والجامعات والطوائف المختلفة ؟ وهل تتم بالتصويت الشفهى أم الكتابى ؟ وهل تتم بمسئولية الوزراء أمام الحاكم الأعلى المنتخب أم بمسئوليته أمام الهيئة الممثلة للشعب ؟ وهل تتم بمجلس واحد أم بمجلسين ؟ . . . الخ . . كل ذلك متروك لظروف كل أمة وزمانها ومكانها ، وللتجارب البشرية التى تحقق الشورى على الوجه الأمثل .

وهكذا قضايا كثيرة . مما لم يرد فيه نص يحدد طريقة التنفيذ ووسيلة التطبيق ، مما يحقق المرونة الكاملة للنظام الإسلامى ، مع بقائه محكوماً بالشريعة التى تكيفت بها نشأته ووجوده .

***

ثم نعود إلى استعراض بعض الآثار التى تركتها تلك الخاصية الكبيرة فى نظام المجتمع الإسلامى . .

قلنا إن هذا النظام بسبب انبثاقه من العقيدة الإسلامية ، وتكيف وجوده بالشريعة المستمدة منها ، شديد الارتباط بتلك العقيدة . والواقع أن العقيدة الإسلامية واضحة الأثر فى كل جزئيات النظام الإسلامى ؛ ما قرب من هذه العقيدة فى الظاهر كالعبادات والأخلاق ؛ وما بعد عنها فى الظاهر كالمعاملات المالية ، والارتباطات الاقتصادية ، والعلاقات السياسية ، داخلية أو دولية . بحيث يصعب إدراك طبيعة أى جانب من هذه الجوانب المتعددة ، وفهمها فهما حقيقيا ، بدون دراسة العقيدة الإسلامية ، وفكرة الإسلام عن الكون والحياة والإنسان ؛ ثم الربط بين هذه الفكرة الكلية ، وبين أى جانب من جوانب الحياة فى الإسلام ، فردية كانت أو عائلية أو جماعية أو دولية .

إن عقيدة التوحيد — بكل إشعاعاتها — تسيطر وتؤثر فى مقومات النظام الاجتماعى الإسلامى . توحيد الله المطلق بلا شبهة من شرك أو تعدد . وتوحيد إرادة الله فى الخلق والحفظ والضبط والحساب . وتوحيد الوجود الحادث عن توجه الإرادة الواحدة . وتوحيد الحياة فى مصدرها وطبيعتها ومقوماتها . وتوحيد البشرية فى مصدرها وأصلها ونشأتها ، وفى أجيالها وأهدافها ومصائرها . وتوحيد الدين على أيدى أمة الرسل — وهم أمة واحدة — وتوحيد الأمة المؤمنة وهى تشمل كل من آمنوا برسول من رسل الله قبل أن يُرسَل أخوه بعده ، من لدن آدم إلى خاتم المرسلين . وتوحيد الطبيعة البشرية فى اعتبارها وتوجيهها . وتوحيد العقيدة ، والعمل والعبادة والسلوك . وتوحيد الدنيا والآخرة فى التوجه إلى الله[1] .

عقيدة التوحيد هذه — بكل إشعاعاتها — تسيطر سيطرة تامة على كل جوانب النظام الاجتماعى الإسلامى ؛ وتحدد كل مقوماته وخصائصه الأخرى ؛ وتفسر كثيرا من المشاعر والآداب ، والأخلاق والمعاملات ، والحقوق والواجبات ، والعلاقات والارتباطات فى هذا النظام ، فى كل صورها وأشكالها .

---

(١) راجع فصل : طبيعة العدالة الاجتماعية فى كتاب : « العدالة الاجتماعية فى الإسلام » وفصل : طبيعة السلام فى كتاب : « السلام العالمي والإسلام » وفصل : القصة فى القرآن فى كتاب : « التصوير الفنى فى القرآن » وتفسير قوله تعالى : « تلك الرسل » فى الجزء الثالث من ظلال القرآن .

وسيتكشف لنا صدق هذه الحقيقة الواقعة ، كلما مضينا فى دراسة خصائص المجتمع الإسلامى ومقوماته ، وفى استعراض القواعد الشعورية القانونية التى تتحقق بها هذه المقومات والخصائص . فأما الآن فنكتفى بتتبع بعض آثار عقيدة التوحيد الإسلامية فى تحقيق خصيصة الربانية فى النظام الإسلامى .

ومع أن عقيدة التوحيد هى القاعدة التى تقوم عليها كل الديانات السماوية . فإن لها فى الإسلام مدلولا أوسع وأشمل من مدلولها فى كل عقيدة . كل عقائد التوحيد أصلا تتفق فى وحدانية الله سبحانه وتعالى . ولكن الإسلام يضيف إلى توحيد الله آثاره الطبيعية فى توحيد خلقه ، وتوحيد نشاط خلقه كذلك .

ويتضح هذا المعنى حين نوازن بين الإسلام واليهودية مثلا ، فنراهما يتفقان على توحيد الله . ثم يمضى الإسلام إلى اعتبار بقية إشعاعات التوحيد التى أسلفناها . بينما اليهودية تقف عند حدود قومية محلية فى بنى إسرائيل ، لا تتعداهم إلى توحيد البشرية فى المخاطبة بالرسالة : « فأتياه فقولا : إنا رسولا ربك ، فأرسل معنا بنى إسرائيل ولا تعذبهم . قد جئناك بآية من ربك والسلام على من اتبع الهدى[1] » وقال موسى : « فرعون يا إنى رسول من رب العالمين ، حقيق على ألا أقول على الله إلا الحق ، قد جئتكم ببينة فأرسل معى بنى إسرائيل[2] » . . ولابد أن يترتب على كلتا النظرية آثارها فى النظام الذى يقوم عليها : مبادئه وتشريعاته وتطبيقاته . ولندع ما ابتدعه اليهود بعد ذلك من أسطورة « الشعب المختار » ومن قولهم الذى حكاه القرآن عنهم : « وقالوا : ليس علينا فى الأميين سبيل » . . وما ترتب على هذه الانحرافات من آثار أخرى فى علاقاتهم بالبشر ، وفى طرائقهم فى الحياة . .

ويتضح ذلك المعنى كذلك حين نوازن بين الإسلام والمسيحية ، فنراهما يتفقان على توحيد الله — مع غض النظر عن الانحرافات التى وقعت بعد ذلك نتيجة لدخول الرومان الوثنيين فى المسيحية ، وخلط وحدانيتها بوثنيتهم ، وما نشأ عن هذا الخلط من أوهام وأساطير — ثم نرى الإسلام يمضى إلى اعتبار سائر إشعاعات التوحيد ، بينما المسيحية تقف كذلك عند الحدود القومية لبنى إسرائيل : « ورسولا

(١) سورة طه . آية : ٤٧ (٢) سورة الأعراف . آية : ١٠٤ — ١٠٥

إلى بنى إسرائيل أنى قد جئتكم بآية من ربكم . . . الخ »[١] فإذا تجاوزنا عن هذه السمة واعتبرنا الواقع التاريخى للمسيحية ، من كونها تحولت إلى دعوة عامة ، مخالفة فى ذلك طبيعتها ومهمتها ، من أنها جاءت لبنى إسرائيل خاصة ، ولفترة من الزمان موقوتة بظهور الرسالة التالية . وذلك بحكم تدخل عوامل سياسية خارجة عن طبيعة المسيحية ، عندما تنصرت الدولة الرومانية ففرضت المسيحية فرضاً ، وبحد السيف على رعايا الامبراطورية الرومانية . . إذا تجاوزنا سمة القومية المحلية ، فإننا نطلع على فارق آخر بين مدلول التوحيد الشامل فى الإسلام ومدلول التوحيد الضيق فى المسيحية عند النظر إلى الطبيعة البشرية . إذ تفصل المسيحية بين جسد الإنسان وروحه ، وتميل إلى كبت الطاقات الحيوية إطلاقا للطاقات الروحية ، مما انتهى بالمسيحيين إلى نظام الرهبانية ، التى لم تُكتب عليهم ، وإنما ابتدعوها ابتغاء رضوان الله . بينما يوحد الإسلام الطاقات البشرية جميعاً ، فيجعل كل نشاط للإنسان عبادة . سواء فى ذلك العبادة المفروضة والعمل والمتاع ، متى توجه الإنسان بنشاطه فى أى حقل من هذه الحقول إلى الله .

***

ونعود بعد هذا الإيضاح إلى تتبع بعض آثار عقيدة التوحيد الإسلامية فى تحقيق خصيصة الربانية فى النظام الإسلامى . . أول هذه الآثار هو توحيد المتَّجَه ، الذى يتوجه إليه الفرد والجماعة ، الحاكم والمحكوم ، العامل وصاحب العمل ، المنتج والمستهلك ، المعطى والآخذ . . توحيد المتجه الذى يتوجه إليه هؤلاء جميعاً بنشاطهم العملى وإنتاجهم المادى ، كما يتوجهون إليه بمشاعرهم ووجدانهم سواء بسواء . . هذا المتجه الواحدهوعبادة الله ابتغاءمرضاة الله : «وماخلقت الجن والإنس إلا ليعبدون»[٤]. « قل : إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين ، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين[٥] »... وجاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : الرجل يقاتل للمغنم ، والرجل يقاتل للذكر ، والرجل يقاتل لِيُرى . فمن فى سبيل الله ؟ قال — صلى الله عليه وسلم — « من قاتل لتكون كلمة الله العليا فهو فى سبيل الله[٦] »

(١) سورة آل عمران آية : ٤٩
(٢) الذاريات . آية : ٥٦
(٣) سورة الأنعام . آية : ١٦٣
(٤) متفق عليه .

ونقف لحظة عند النص الأول من هذه النصوص ، لأن إيضاحه ذو أثر عميق فى إيضاح جانب من فكرة الإسلام الكلية عن الحياة . فما معنى العبادة المقصودة فى الآية : « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون » ؟ يبدو لى جلياً أن المراد هو رسم غاية عليا للحياة ، هو التوجه بكل نشاط فيها إلى الله . سواء كان هذا النشاط شعيرة تعبدية ، أم نية ، أم عملا من أى نوع . أى التوجّه بها إلى هدف أعلى من الأرض وأوسع مدى . أعلى من الحاجات البشرية القريبة . ومن شأن هذا التوجه بكل نشاط إلى الله ، تطهير الحياة ورفعها ، ومنحها معنى أسمى من معنى اللحم والدم ، ومقتضياتها القريبة أو البعيدة . وليس الغرض أن تقضى الحياة كلها فى شعائر تعبدية ، فالإسلام يجعل كل نشاط يتوجه به الإنسان إلى الله عبادة — كما أسلفنا — ولو كان هذا النشاط هو الاستمتاع بطيبات الحياة ، التى أحلها الله ، بنية أن هذا المتاع تحقيق لإرادة الله فى حل الاستمتاع بالطيبات . ومن هنا يجىء توحيد الطاقة البشرية ، وتوجيهها كلها إلى الله .

توحيد الاتجاه ، وتوحيد المتّجِه إليه من الأفراد والجماعات فى المجتمع الإسلامى ، فى كل شأن ، ومراقبة الله فى كل قول أو فعل . يترك آثاره فى طبيعة هذا المجتمع ، ونوع الروابط التى تقوم بين وحداته ، لأنها كلها تتجه إلى أفق أعلى من مصالح الناس كما يرونها لو خلى بينهم وبين تصوراتهم الذاتية للمصلحة . ولكن العقيدة فى الله تجعل تصورهم للمصالح مستمدا مما ترسمه لهم شريعته . فتتكيف طبيعة العلاقات بينهم بحسب هذا التصور . ولا تتفرد العوامل الاقتصادية وحدها بتكييف هذه العلاقات ؛ بل إن هذه العوامل الاقتصادية ذاتها لتتكيف وفق ما أرادته شريعة الله لها فى المجتمع الإسلامى ، وفق إيحاءات العقيدة فى الله ، وإشعاعاتها فى العلاقات الإنسانية كافة .

والإسلام يربط بين العقيدة والنظم والتشريعات التى يطلب إلى كل فرد فى المجتمع الإسلامى صيانتها ومراعاتها ورد الحاكم المحكوم إليها . ونضرب على هذا بعض الأمثلة :

فالزكاة وهى ضريبة مالية ، تحقق جانباً من جوانب التكافل الاجتماعى فى الإسلام (وهو أوسع مدى من الزكاة وأكبر مدلولا من الحقوق المالية عامة كما سيأتى)

هذه الزكاة فريضة دينية ، تمثل الركن الثالث من أركان الإسلام . تُطلَب لمستحقيها باسم الله ، وترتبط ارتباطاً وثيقاً بالعقيدة فى الله وفى أنه هو الذى استخلف أصحاب المال فى ماله ، فحق عليهم أن ينفقوا بأمره وبإذنه من هذا المال : « وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه[١] » . . « وآتوهم من مال الله الذى آتاكم[٢] » .

والربا — وهو داخل فى النظم الاقتصادية والمالية — يحرم ، ويربط تحريمه بالعقيدة وإشعاعاتها فى النظرية المالية فى الإسلام : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين . فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله ، وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم ، لا تظلمون ، ولا تظلمون[٣] » .

والحد فى السرقة عقوبة تتعلق من ناحية بالنظام الأخلاقى ومن ناحية بالجانب الاقتصادى . وهى مربوطة بالعقيدة فى الله ، تنفذ عقوبة من الله ، لا من المسروقين ولا من المجتمع كله : « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا ، نكالا من الله[٤] » .

والحد فى الزنا عقوبة ذات علاقة بالأخلاق من ناحية وذات علاقة بنظام الأسرة وبالنظام الاقتصادى (فى تدليس الأنساب وتوريث الغرباء) وهى تربط بالعقيدة فى الله ، ولا يذكر بجانبها لا حقُّ الأسرة ولا حقُّ المجتمع ، ولكن حقُّ الله : « الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ، ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر[٥] » .

وهكذا كلما مضينا مع القواعد التى يقوم عليها النظام الاجتماعى الإسلامى ، نجدها مرتبطة ، بالعقيدة ، قائمة عليها ، مستمدة منها قوتها وأحقيتها محققة سنة الربانية فى النظام الإسلامى .

« يتبع »

---

(١) سورة الحديد . آية : ٧ .

(٢) سورة النور . آية : ٣٣ .

(٣) سورة البقرة . آية : ٢٧٨ — ٢٧٩ .

(٤) سورة المائدة . آية : ٣٨ .

(٥) سورة النور . آية : ٢

رسالة من الأستاذ محمد أسد

« يذكر الإخوة القراء المقالات القيمة التى كنا ننشرها للأستاذ محمد أسد (ليوبولدفايس) ويذكرون الشائعات التى دارت حول عودته الى اليهودية والتى ذهب بعضها الى أنه قد عاد الى اسرائيل ، وقد أمسكنا عن التعليق عليها حينئذ حتى يتبين لنا وجه الحقيقة فيها .

واليوم ننشر رسالة مؤثرة جاءتنا منه باللغة الإنجليزية ، ننشرها كما هى ، مع ترجمة لها باللغة العربية ، حتى تكون أسرة « المسلمون » على صلة مباشرة بحقيقة الأمر فى هذه القصة الأليمة » .

بسم الله الرحمن الرحيم

3 East 80th Street
New York 21, N.Y.

My dear brother Said, السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

It is only recently that I have learned of the vicious campaign of calumny and slander that is being waged against me. Although I am convinced that you, as well as other friends who know me well, would never give credence to such malicious lies, I should like to state unequivocally that the sole reason of my resignation from the Pakistan Foreign Service was a purely personal one, as is well known to the Government of Pakistan.

It is a most atrocious lie that I have reverted, or ever thought of reverting, to Judaism. Over many years I have struggled to the utmost of my capacity for the fulfilment of the ideals of Islam, and my work was considered to have been a valuable contribution to the cause of Muslim revival. Nothing I have done or written since could be construed as an evidence of a change of attitude on my part.

I have never favoured the so-called State of Israel, or the Jews as a community. On the contrary, before, during and after my service with the Pakistan Government I have always championed the cause of the Arabs and have denounced the establishment of Israel, publicly and privately, as a moral crime of the first magnitude. It is also absolutely untrue that I have recently married a Jewess, as some people have alleged. My wife is a Muslim by faith and was a Roman Catholic before her conversion to Islam.

It is really a bitter irony that all these rumours are being spread at a time when I am working on a book describing my life and the reasons which led me to embrace Islam. I have undertaken to write this book at the request of one of the largest American publishers not merely as a literary enterprise but also - and mainly - because it offers me an opportunity to present the ideas of Islam to the Western world and to prove that the conversion of a European to Islam is not so "unreasonable" as most Westerners think.

Islam is, as it has always been, the most important factor in my life and my loyalty to it will certainly not be affected by the fact that some people of my own community - the Muslim community - have given credence to a campaign of calumny against me, forgetting that our Holy Prophet has condemned all <u>ghaiba</u> in the sharpest terms. It is a tragic testimony to the moral decadence of our community that a man who has spent his entire mature life in the service of Islam can be so easily doubted and slandered by the very people for whom he has been working.

Yours in Islam,
Muhammad Asad

بسم الله الرحمن الرحيم

أخي العزيز سعيد ...

السلام عليكم ورحمة الله

قد علمت مؤخراً فقط بحملة البهتان والقذف المعيبة التى لم تزل مسلطة على . ومع أنى مقتنع بأنك كسائر أصدقائى الذين يعرفوننى جيداً لن تلقى سمعاً لمثل هذه الافتراءات التى أثارتها الضغينة ، فلا بد لى أن أقرر بجلاء أن السبب الوحيد لاستقالتى من وزارة الخارجية الباكستانية كان أمراً شخصياً محضاً كما هو معلوم جيداً لدى حكومة باكستان .

إنها أفظع فرية أنى ارتددت أو فكرت فى الارتداد إلى اليهودية . فلقد جاهدت خلال سنوات عديدة بكل ما استطعت من قوة لتحقيق مثل الإسلام العليا ، وقد كان عملى يعتبر عونا قيما فى مضمار النهضة الإسلامية ، ومنذ ذلك الحين لم أعمل أو أكتب شيئاً يمكن تفسيره ليكون دليلا على أى تغير فى الوضع من ناحيتى .

إننى لم أوادد قط ما يسمى بحكومة إسرائيل أو اليهود كطائفة ، بل على العكس ، سواء قبل عملى مع حكومة باكستان أو أثناءه ، فقد ناصرت القضية العربية ، ونددت بقيام إسرائيل فى المجال الخاص والعام كجريمة أدبية من الطراز الأول . وكذلك ليس بصحيح إطلاقا أننى تزوجت أخيراً يهودية كما ادعى بعضهم ، فإن زوجتى مسلمة بالعقيدة ، وقد كانت من طائفة الروم الكاثوليك قبل اهتدائها إلى الإسلام

حقاً إنها لسخرية مرة أن تروج هذه الشائعات كلها فى وقت أشتغل فيه بوضع كتاب(١) يصف حياتى والأسباب التى أدت إلى اعتناقى الإسلام . وقد تعهدت بتأليف هذا الكتاب بناء على رغبة واحد من أكبر الناشرين الأمريكان ، ليس كإنتاج أدبى وحسب ، بل كذلك — وعلى الأخص — لأنه يهيء لى فرصة لتقديم الفكرة الإسلامية إلى العالم الغربى ، ولأثبت أن اهتداء الأوربى إلى الإسلام ليس أمراً « لا يعقل » كما يتوهم أكثر الغربيين .

إن الإسلام ، كما لم يزل دائماً ، العامل الأهم فى حياتى ، ولن يتأثر إخلاصى له أبداً بأن بعض الناس من أمتى — الأمة الإسلامية — قد صدقوا حملة البهتان الموجهة إلى ، ناسين أن رسول الله شدد النكير على الغيبة . إنه لدليل مفجع على ضعفنا الأخلاقى ، إن الرجل الذى أمضى آونة نضجه كلها من الحياة فى خدمة الإسلام يمكن أن يتهم ويفترى عليه بهذه السهولة من أولئك أنفسهم الذين كان عمله من أجلهم ؟

أخوك فى الإسلام

محمد أسد

---

(١) أطلعنا الأستاذ أسد أثناء زيارتنا له فى أمريكا — حيث يقيم الآن إلى أن ينتهى من كتابه ثم يعود ليقيم فى باكستان — على أجزاء من كتابه الجديد . وسنترجم منها فصولا طريفة قيمة فى أعدادنا القادمة بإذن الله .

« التحرير »

يا بنتى !

للأستاذ على الطنطاوى

المستشار فى محكمة النقض السورية

يا بنتى : أنا رجل يمشى إلى الخمسين ، قد فارق الشباب ، وودّع أحلامه وأوهامه ، ثم إنى سحت فى البلدان ، ولقيت الناس ، وخبرت الدنيا ، فاسمعى منى كلمة صحيحة صريحة من سنّى وتجاربى لم تسمعيها من غيرى . لقد كتبنا ونادينا ، ندعو إلى تقويم الأخلاق ، ومحو الفساد ، وقهر الشهوات ، حتى كلّت منا الأقلام ، وملّت الألسنة وما صنعنا شيئا ، ولا أزلنا منكراً ، بل إن المنكرات لتزداد ، والفساد ينتشر ، والسفور والحسور والتكشف ، تقوى شرّته وتتسع دائرته ، ويمتدّ من بلد إلى بلد ، حتى لم يبق بلد إسلامى (فيما أحسب) فى نجوة منه ، حتى الشام التى كانت فيها الملاءة السابغة ، وفيها الغلو فى حفظ الأعراض ، وستر العورات ، قد خرج نساؤها سافرات حاسرات ، كاشفات السواعد والنحور . . . .



ما نجحنا وما أظن أننا سننجح . أتدرين لماذا ؟ لأننا لم نهتد إلى اليوم إلى باب الإصلاح ، ولم نعرف طريقه ، إن باب الإصلاح أمامك أنت يا بنتى ، ومفتاحه بيدك ، فإذا آمنت بوجوده وعملت على دخوله ، صلحت الحال . صحيح إن الرجل هو الذى يخطو الخطوة الأولى فى طريق الإثم ، لا تخطوها المرأة أبداً ، ولكن لولا رضاك ما أقدم ، ولولا لينك ما اشتد ، أنت فتحت له وهو الذى دخل ، قلت للص : تفضل . . . فلما سرقك اللص ، صرخت : أغيثونى يا ناس سرقت . . . ولو عرفت أن الرجال جميعا ذئاب وأنت النعجة لفررت منهم فرار النعجة من الذئب ، وأنهم جميعا لصوص لاحترست منهم احتراس الشحيح من اللص .

وإذا كان الذئب لا يريد من النعجة إلا لحمها ، فالذى يريده منك الرجل أعزّ عليك من اللحم على النعجة ، وشرّ عليك من الموت عليها ، يريد منك أعزّ شىء عليك :

عفافك الذى به تشرفين ، وبه تفخرين ، و به تعيشين ، وحياة البنت التى يجمها الرجل بعفافها ، أشدّ عليها بمئة مرة ، من الموت على النعجة التى يجمها الذئب بلحمها . . .
إى والله ، وما رأى شاب فتاة إلا جرّدها بخياله من ثيابها ثم تصورها بلا ثياب ،
إى والله أحلف لك مرة ثانية ، ولا تصدق ما يقوله بعض الرجال ، من أنهم لا يرون فى البنت إلا خلقها وأدبها ، وأنهم يكلمونها كلام الرفيق ، ويودونها ودّ الصديق .
كذب والله ، ولو سمعت أحاديث الشباب فى خلواتهم ، لسمعت مهولاً مرعباً ، وما يبسم لك الشاب بسمة ، ولا يُلين لك كلمة ، ولا يقدم لك خدمة ، إلا وهى عنده تمهيد لما يريد ، أو هى على الأقل إيهام لنفسه أنها تمهيد !

وماذا بعد ؟ ماذا يا بنت ؟ فكّرى !

تشتركان فى لذة ساعة ، ثم ينسى هو ، وتظلين أنت أبداً تتجرّعين غصصها ، يمضى (خفيفا) يفتش عن مغفلة أخرى يسرق منها عرضها ، وينوء بك[1] أنت (ثقل) الحمل فى بطنك ، والهم فى نفسك ، والوصمة على جبينك ، يغفر له هذا المجتمع الظالم ، ويقول : شاب ضل ثم تاب . وتبقين أنت فى حمأة الخزى والعار طول الحياة ، لا يغفر لك المجتمع أبداً .

ولو أنك إذ لقيته نَصَبْتِ له صدرك ، وزويت عنه بصرك ، وأَرَيْتِهِ الحزم والإعراض . . . فإذا لم يصرفه عنك هذا الصد ، وإذا بلغت به الوقاحة أن ينال منك بلسان أو يد ، نزعت حذاءك من رجلك ، ونزلت به على رأسه — لو أنك فعلت هذا ، لرأيت من كل من يمرّ فى الطريق عونا لك عليه ، ولما جرؤ بعدها فاجر على ذات سوار ، ولجاءك (إن كان صالحاً) تائبا مستغفرا ، يسأل الصلة بالحلال : جاءك يطلب الزواج .

والبنت ، مهما بلغت من المنزلة والغنى والشهرة والجاه ، لا تجد البنت أملها الأكبر وسعادتها إلا فى الزواج ، فى أن تكون زوجاً صالحة ، وأما موقرة ، وربة بيت .

(١) هذا هو التعبير الأفصح . قال تعالى : « ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة »

سواء فى ذلك الملكات والأميرات ، وممثلات هوليوود ذوات الشهرة ، والبريق الذى يخدع كثيرات من النساء . وأنا أعرف أديبتين كبيرتين فى مصر والشام ، أديبتين حقا — جُمع لهما المال والمجد الأدبى ، ولكنهما فقدتا الزوج ففقدتا العقل ، وصارتا مجنونتين — ولا تحرجينى بسؤالى عن الأسماء ، إنها معروفة ! .

الزواج أقصى أمانى المرأة ولو صارت عضوة البرلمان ، وصاحبة السلطان ، والفاسقة المستهترة لا يتزوجها أحد . حتى الذى يغوى البنت الشريفة بوعد الزواج ، إنْ هى غوَت وسقطت تركها وذهب ، إذا أراد الزواج فتزوج غيرها من الشريفات ، لأنه لا يرضى أن تكون ربّة بيته ، وأم بنته ، امرأة ساقطة ! .

والرجل وإن كان فاسقاً داعراً ، إذا لم يجد فى سوق اللذات ، بنتا ترضى أن تريق كرامتها على قدميه . وأن تكون لعبة بين يديه ، إذا لم يجد البنت الفاسقة أو البنت المغفلة ، التى تشاركه فى الزواج على دين إبليس ، وشريعة القطط فى شباط[1] طلب مَن تكون زوجته على سنة الإسلام ، فكساد سوق الزواج منكن يا بنات ، لو لم يكن منكن الفاسقات ما كسدت سوق الزواج ولا راجت سوق الفجور . . . فلماذا لاتعملن ، لماذا لاتعمل شريفات النساء على محاربة هذا البلاء ؟ أنتن أولى به وأقدر عليه منا ، لأنكن أعرف بلسان المرأة ، وطرق إفهامها ، ولأنه لا يذهب ضحية هذا الفساد إلا أنتن : البنات العفيفات الشريفات، البنات الصيّنات الديّنات . فى كل بيت من بيوت الشام بنات فى سنّ الزواج لا يجدن زوجاً ، لأن الشباب وجدوا من الخليلات ما يغنى عن الحليلات ، ولعل مثل هذا فى غير الشام أيضاً . . . فألفن جماعات منكن تعيد أخواتكن الضالات إلى الجادة ، خوفوهن الله ، فإن كن لا يخَفْنَه ، فحذروهن المرض ، فإن كن لا يَحْذَرْنَه ، فخاطبنهن بلسان الواقع ، قُلْن لهنّ : إنكن صبايا جميلات فلذلك يقبل الشباب عليكن ، ويحومون حولكن ، ولكن هل يدوم عليكن الصبا والجمال ؟ ومتى دام فى الدنيا شىء حتى يدوم على الصبية صباها ، وعلى

(١) شباط فى الشام والعراق وفى الأدب العربى هو فبراير عند الإنكليز !

الجميلة جمالها ؟ فكيف بكن إذا صرتن عجائز محنيات الظهور ، مجعّدات الوجوه ؟ ! من يهتم يومئذ بكنّ ، ومن يسأل عنكن ؟ أتعرفن من يهتم بالعجوز ، ويكرمها ويوقرها ؟ أولادها وبناتها وحفدتها وحفيداتها ، هنالك تكون العجوز ملكة فى رعيّتها ، ومتوّجة على عرشها على حين تكون (الأخرى . . .) — أنتن أعرف بما تكون عليه ! فهل تساوى هذه اللذة تلك الآلام ؟ وهل تشترى بهذه البداية تلك النهاية ؟ .

وأمثال هذا الكلام ، لا تحتجن إلى من يدلكن عليه ، ولا تعدمن وسيلة إلى هداية أخواتكن المسكينات الضالات ، فإن لم تستطعن ذلك معهن ، فاعملن على وقاية السالمات من مرضهن ، والناشئات الغافلات من أن يسلكن طريقهن .

* * *

وأنا لا اطلب منكن أن تعدن بالمرأة المسلمة اليوم ، بوثبة واحدة إلى مثل ما كانت عليه المرأة المسلمة حقا ، لا . وإنى لأعلم أن الطفرة مستحيلة فى العادة ، ولكن أن ترجعن إلى الخير خطوة خطوة ، كما أقبلتن على الشر خطوة خطوة ، إنكنّ قصّرتن الثياب شعرة شعرة ، ورققتن الحجاب ، وصبرتن الدهر الأطول تعملن لهذا الانتقال ، والرجل الفاضل لا يشعر به ، والمجلات الداعرة تحث عليه ، والفساق يفرحون به ، حتى وصلنا إلى حال لا يرضى بها الإسلام ، ولا ترضى بها النصرانية ، ولم يعملها المجوس الذين نقرأ أخبارهم فى التاريخ ، إلى حال تأباها الحيوانات . إن الديكين إذا اجتمعا على الدجاجة اقتتلا غيرة عليها وذوداً عنها ، وعلى الشواطىء فى الإسكندرية وبيروت رجال مسلمون لا يغارون على نسائهم المسلمات أن يراهن الأجنبى ، لا أن يرى وجوههن . . . ولا أكفهن . . . ولا نحورهن . . . بل كل شىء فيهن ! كل شىء إلا الشىء الذى يقبح مرآه ويجمل ستره ، وهو حلقتا العورتين وحُلْمتا الثديين . . . وفى النوادى والسهرات ، (التقدمية) الراقية ، رجال مسلمون يقدمون نساءهم المسلمات ، للأجنبى ليراقصهن ، يضمهن حتى يلامس الصدر الصدر ، والبطن البطن ، والفم الخد ، والذراع ملتوية على الجسد ، ولا ينكر ذلك أحد ، وفى

الجامعات المسلمة شباب مسلمون يجالسون بنات مسلمات متكشفات باديات العورات ولا ينكر ذلك الآباء المسلمون ولا الأمهات المسلمات، وأمثال هذا .

وأمثال هذا كثير ، لا يُدفع فى يوم واحد ، ولا بوثبة عاجلة ، بل بأن نعود إلى الحق ، من الطريق الذى وصلنا منه إلى الباطل ، ولو وجدناه الآن طويلا — وإن من لا يسلك الطريق الطويل الذى لا يجد غيره لا يصل أبداً .

وأن نبدأ بمحاربة الاختلاط ، والاختلاط غير السفور ، وأنا لا أمنع من كشف الوجه ، إن كان لا يتحقق بكشفه الضرر على الفتاة والعدوان على عفافها ، وأراه عند أمن الفتنة خيراً من هذا الذى نسميه فى بلاد الشام حجابا ، وما هو إلا ستر للمعايب ، وتجسيم للجمال ، وإغراء للناظر ، السفور إن اقتصر على الوجه ، نقبل به وإن كنا نرى الستر أحسن وأولى ، أما الاختلاط فشىء آخر ، وليس يلزم من السفور أن تختلط الفتاة بغير محارمها ، وأن تستقبل الزوجة السافرة صديق زوجها فى بيتها ، أو أن تحييه إن قابلته فى الترام ، أو لقيته فى الشارع ، وأن تصافح البنت رفيقها فى الجامعة ، أو أن تصل الحديث بينها وبينه ، أو أن تمشى معه فى الطريق ، وتستعد معه للامتحان ، وتنسى أن الله قد جعلها أنثى وجعله ذكراً ، وركب فى كلٍّ الميل إلى الآخر ، فلا تستطيع هى ولا هو ولا أهل الأرض جميعاً ، أن يغيّروا خلقة الله ، وأن (يساووا) بين الجنسين ، أو أن يمحوا من نفوسهم هذا الميل ، وإن دعاة المساواة والاختلاط باسم المدنية ، قوم كذابون من جهتين : كذابون لأنهم ما أرادوا من هذا كله إلا إمتاع جوارحهم ، وإرضاء ميولهم ، وإعطاء نفوسهم حظها من لذة النظر ، وما يأملون به من لذائذ أخر . ولكنهم لم يجدوا الجرأة على التصريح به ، فلبّسوه بهذا الذى يهدفون به من هذه الألفاظ الطنانة ، التى ليس وراءها شىء : التقدمية ، والتمدن ، والحياة الجامعية ، وهذا الكلام الفارغ (على دويّه) من المعنى فكأنه الطبل . . .



وكذابون لأن أوربا التى يأتمون بها ، ويهتدون بهديها ، ولا يعرفون الحق إلا بدمغتها عليه ، فليس الحق عندهم الذى يقابل الباطل ، ولكن الحق ما جاء من

هناك من باريس ولندن وبرلين ونيويورك ، ولو كان الرقص والخلاعة والاختلاط فى الجامعة والتكشف فى الملعب والعرى على الساحل ، والباطل ما جاء من هنا ، من الأزهر والأموى وهاتيك المدارس الشرقية ، والمساجد الإسلامية ، ولو كان الشرف والهدى والعفاف والطهارة ، طهارة القلب وطهارة الجسد — إن فى أوربة وفى أميركا ، كما قرأنا وحدثنا من ذهب إليهما ، أسراً كثيرات ، لا ترضى بهذا الاختلاط ولا تسيغه ، وإن فى باريز (فى باريس يا ناس) آباء وأمهات لا يسمحون لبناتهم الصبايا الكبيرات أن يسرن مع شاب ، أو يصحبنه إلى السينما ، بل هم لا يدخلونهن إلا إلى روايات عرفوها وأيقنوا بسلامتها من الفحش والفجور اللذين لا يخلو منهما مع الأسف واحد من هذه (التهريجات) والصبيانيات السخيفة التى تسميها شركات مصر الهزيلة الرقيعة الجاهلة بالفن السينمائى مثل جهلها بالدين — تسميها أفلاماً !

يقولون ، إن الاختلاط يكسر شرّة الشهوة ، ويهذب الخلق ، وينزع من النفس هذا الجنون الجنسى ، وأنا أحيل فى الجواب على من جرّب الاختلاط فى المدارس ، روسيا ، التى لا تعود إلى دين ، ولا تسمع رأى شيخ ولا قسيس ، ألم ترجع عن هذه التجربة لما رأت فسادها ؟ وأميركا ، ألم تقرأوا أن من جملة مشاكل أميركا ، مشكلة ازدياد نسبة (الحاملات) من الطالبات ؟ فمن يسرّه أن يكون فى مصر والشام ، وسائر بلاد الإسلام مثل هذه المشكلة ؟

وأنا لا أخاطب الشباب ، ولا أطمع فى أن يسمعوا لى ، وأنا أعلم أنى سأهيج علىّ منهم مثل عشّ الزنابير يردّون علىّ ويسفّهون رأيى ، لأنى أحرمهم من لذائذ ماصدقوا أنهم قد وصلو إليها حقاً ، ولكن أخاطبكن أنتن يا بناتى . يا بناتى المؤمنات الدينات ، يا بناتى الشريفات العفيفات ، إنه لا يكون الضحية إلا أنتن . فلا تقدمن نفوسكن ضحايا على مذبح إبليس ، لا تسمعن كلام هؤلاء الذين يزينون لكن حياة الاختلاط باسم الحرية والمدنية والتقدمية والحياة الجامعية ، كان أكثر هؤلاء اللاعين لا زوجة له ولا ولد ، ولا يهمه منكن جميعا إلا اللذة العارضة ، أما أنا فإنى أبو أربع بنات فأنا حين أدافع عنكن أدافع عن بناتى ، وأنا أريد لكن من الخير ما أريده لهن .

إنه لا شيء مما يهرف به هؤلاء يرد على البنت عرضها الذاهب ، ولا يرجع لها شرفها المثلوم ، ولا يعيد لها كرامتها الضائعة ، وإذا سقطت البنت لم تجد واحداً منهم يأخذ بيدها ، أو يرفعها من سقطتها ، إنما تجدهم جميعاً يتزاحمون على جمالها ، ما بقى فيها جمال ، فإذا ولى ولوا عنها ؛ كما تولى الكلاب عن الجيفة التي لم يبق فيها مزعة لحم !

* * *

هذه نصيحتى إليك يا بنتى ، وهذا هو الحق فلا تسمعى غيره ، واعلمى أن بيدك أنت ، لا بأيدينا معشر الرجال ، بيدك مفتاح باب الإصلاح ، فإذا شئت أصلحت نفسك وأصلحت بصلاحك الأمة كلها .

والسلام عليك ورحمة الله





محادثة العقلاء

قال عمر بن عبد العزيز : إنى لأشترى المحادثة من عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ابن مسعود بألف دينار من بيت مال المسلمين ، فقيل : يا أمير المؤمنين ، أتقول هذا مع تحريك وشدة تحفظك وتنزهك ؟ فقال : إن يُذهب بكم ! إنى لأعود برأيه ونصحه وهدايته على بيت مال المسلمين بألوف وألوف الدنانير . إن فى المحادثة تلقيحاً للعقول وترويحاً للقلب ، وتسريحاً للهم ، وتنقيحاً للأدب .

من القديم :

الوقت هو الحياة

للإمام الشهيد حسن البنا

« وَاللهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ » قرآن كريم

الوقت من ذهب ! ! وهذا صحيح من حيث القيم المادية للذين لا يقيسون الوجود إلا بها ، ولكن الوقت هو الحياة للذين ينظرون إلى أبعد من ذلك ! !

وهل حياتك أيها الإنسان فى هذا الوجود شىء غير الوقت الذى يمضى بين الوفاة والميلاد ؟! وقد يذهب الذهب وينفد ولكنك تستطيع الحصول عليه بعد ذلك، وتستطيع أن يكون معك منه أضعاف مافقدت ، ولكن الوقت الذاهب والزمن الفائت لا تستطيع له إعادة أو إرجاعا ؟ ! فالوقت إذن أغلى من الذهب وأغلى من الماس وأغلى من كل جوهر وعرض لأنه هو الحياة .

وليس النجاح متوقفا على الخطة الدقيقة والظروف المواتية فحسب ، ولكنه متوقف على اللحظة المناسبة كذلك . وقد كانوا يحذرون من الرأى الفطير ومن الرأى المتأخر أيضا ؛ والتوفيق أن يقع العمل فى لحظته المناسبة « والله يقدّر الليل والنهار » ولهذا كان أعظم الناس تعرضا للخسارة والإخفاق أولئك الغافلون « ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم ذان لا يسمعون بها ؛ أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون » ولقد كان من دعاء الصديق رضى الله عنه : « اللهم لا تدعنا فى غمرة ولا تأخذنا على غرة ولا تجعلنا من الغافلين » وقد كان عمر رضى الله عنه يدعو بأن يرزقه الله البركة فى الأوقات وإصلاح الساعات . ولا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن عمره فيم أفناه وعن ماله ماله مم ا كتسبه وفيم أنفقه .

ومن أروع الصور التى عرض فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قيمة الوقت قوله الكريم : « مامن يوم ينشق فجره إلاوينادى : يا ابن آدم أنا خلق جديد ، وعلى عملك شهيد ، فتزود منى فإنى لا أعود إلى يوم القيامة » .

ليس أغلى فى الوجود إذن من الوقت ، وإن الأوقات لتتفاوت فى يمنها وبركتها

وحسن حظها وسعادة جدها ؛ فساعة أعظم بركة من ساعة ويوم أفضل عند الله من يوم وشهر أكرم من شهر :

هو الجَدُّ حتى تفضُل العين أختها وحتى يكون اليوم لليوم سيدا

وتلك فرصة أتاحها الله لنا نحن المؤمنين لنطرد فيها شبح الغفلة ، ولنعود فيها إلى التذكرة واليقظة ، ولنغنم منها نفحات الفضل حين تهب نسمات القبول ؛ فإن الحسنة تتضاعف فى هذه الأوقات المباركة فيرفع الله فيها من درجات عباده الصالحين ، كما يفتح باب المتاب على مصراعيه ليدخل من أراد الله به الخير من التائبين المنيبين .

ولقد جاءت الآيات الكريمة تشير إلى هذه الأوقات اليومية والأسبوعية والسنوية ، كما أكدت ذلك التوجيهات النبوية ؛ فالله تبارك وتعالى يقول : « فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون ، وله الحمد فى السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون » ويقول : « واذكر ربك فى نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين » ويقول : « والفجر وليال عشر » ويقول : « ليشهدوا منافع لهم وليذكروا اسم الله فى أيام معلومات » ويقول : « واذكروا الله فى أيام معدودات » .



ولقد وجَّهنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قيمة الوقت وطريق الانتفاع به فيما ورد عنه فى كثير من الأحاديث ، مشيراً إلى أن المؤمن بين مخافتين : بين عاجل قد مضى لايدرى ماالله صانع فيه ، وبين آجل قد بقى لا يدرى ما الله قاض فيه ؛ فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته ومن الشبيبة قبل الهرم ومن الحياة قبل الموت .

فيأيها الأخ العزيز : أمامك كل يوم لحظة بالغداة ولحظة بالعشى ولحظة فى السحر تستطيع أن تسمو فيها كلها بروحك الطهور إلى الملأ فتظفر بخير الدنيا والآخرة ، وأمامك يوم الجمعة وليلتها تستطيع أن تملأ فيهما يديك وقلبك وروحك بالفيض الهاطل من رحمة الله على عباده ، وأمامك مواسم الطاعات وأيام العبادات وليالى القربات التى وجهك إليها كتابك الكريم ورسولك العظيم ؛ فاحرص على أن تكون فيها من الذاكرين لا من الغافلين ، ومن العاملين لا من الخاملين ، واغتنم الوقت فالوقت كالسيف ، ودع التسويف فلا أضر منه :

وكن صارماً كالوقت فالمقت فى عسى وخلِّ لعل فهى أكبر علة

وسل الله لنا ولك التوفيق للعمل المقبول والوقت الفاضل

من فقه القرآن والسنة

للأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى

أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق بجامعة القاهرة

(٧)

عقود غير صحيحة

انتهينا فى الكلمات الماضية من الكلام على الشروط التى نرى وجوب تحققها فى البيع ليكون صحيحاً شرعا ، وختمنا تلك الكلمات ببيان معنى الأمر والنهى فى نص الشارع ، وبيان الحكم الإجمالى لما نهى عنه الشارع من تصرفات .

والآن ، نأخذ فى التطبيق على تلك الشروط لنعرف حكم المشرع الحكيم فى بعض عقود البيع التى عرفها التاريخ ، ثم فى بعض العقود الهامة التى تجرى فى أسواقنا الرسمية وغير الرسمية فى هذه الأيام .

فهذه العقود مما يجب أن يعمل الفقهاء لبيان حكم القانون الإسلامى فيها ؛ وإلا كنا غير جادين فى المناداة بأن تكون الشريعة الإسلامية الأساسَ لما نحكم به من قوانين ، وإلا كان الفقه الإسلامى « فى باب المعاملات » من القوانين التى دخلت فى ذمة التاريخ وأصبح لا وجود لها فى الحياة العملية !

بطلان وفساد :

هذا ، ونحب أن نقول من أول الأمر إنه لا يعتبر باطلا كل عقد لم يتوفر فيه جميع الشروط التى ذكرناها ؛ بل من هذه العقود ما قد يعتبر باطلا ، كما أن منها ما يعتبر فاسداً ، وأخيراً نجد منها ما يكون مكروهاً فحسب ؛ وسيأتى مُثُل لهذه العقود كلها .

وضروب البيع الباطلة والفاسدة كثيرة ، وإن كان يعمُّها أن الشارع قد نهى

عنها كلها . فمن هذه البيوع ، ما نهى عنها لأمر يرجع لأصلها وأركانها ، نعنى لأمر يتصل بالعاقدين أنفسهما أو لمحلها وموضوعها . ومنها ، مانهى عنه لا لشيء من ذلك ، بل لخلل يرجع فقط لوصف عارض للعقد ملازما له أو غير ملازم ؛ وسيتضح ذلك كله فيما يأتى .

على أن قسمة العقود غير الصحيحة إلى عقود باطلة وأخرى فاسدة ، هو مذهب العلماء الأحناف وحدهم ، أما فى رأى الفقهاء الآخرين ، فالعقد ليس إلا صحيحاً أو غير صحيح ، ويعبرون عن غير الصحيح بالباطل أو الفاسد على حد سواء[١] .

ومع هذا ، فإن بعض الأحناف يستعمل التعبير بالعقد الفاسد فيما يشمل الفاسد والباطل معاً ، ومن هؤلاء برهان الدين المرغينانى إذ يقول : « وإذا كان أحد العِوضين أو كلاهما محرماً ، فالبيع فاسد ، كالبيع بالميتة والدم والخنزير والخمر ؛ وكذلك إذا كان غير مملوك كالحر[٢] » .

يقول المرغينانى ذلك ، مع أن عامة فقهاء الأحناف على أن بيع الخمر مثلا عقد باطل ، وأن جعلها ثمناً لمبيع حلال بيعه عقد فاسد ؛ ولهذا نقول — كما قال غيرنا من قبل — إن هذا التعبير منه فيه تساهل ، فإن قسمة العقود عند الأحناف جميعاً ثلاثية لا ثنائية[٣] .

ولعل من المهم بعد هذا ، أن نذكر أن اختلاف الفقهاء فيما بينهم فى تقسيم العقد إلى صحيح وغير صحيح : باطل أو فاسد ، أو تقسيمه إلى صحيح وباطل وفاسد ، هذا التقسيم يرجع إلى مسألة عُنى ببحثها علماء أصول الفقه . هذه المسألة هى : هل النهى عن عقد من العقود معناه إثم من يقدم عليه ، ثم عدم اعتباره صحيحاً شرعا إن وقع فعلا ؟ أو أن النهى لا يقتضى إلا الإثم ، ثم قد يعتبر العقد قائماً شرعا أحياناً ؟

---

(١) راجع الشرح الكبير للدردير ، ج ٣ ص ٦ ؛ شرح المنهج وحاشية البجيرمى عليه ، ج ٢ ص ٢٢٢ وما بعدها ؛ كشاف القناع ، ج ٢ ص ٥ وما بعدها ؛ مقدمات ابن رشد ، ج ٢ ص ٢١٣ وما بعدها ؛ الأشباه لابن نجيم ، ص ١٨٥ .

(٢ ، ٣) راجع بداية المبتدي وشرحها هداية للمهتدى ، مع فتح القدير شرح الهداية ، ج ٥ : ١٨٥ — ١٨٦ .

ذهب غير الأحناف إلى الرأى الأول ، وإذاً فلا يكون أى أثر مشروع لعقد نهى الشارع عنه ، أى أنه إن وقع مع النهى عنه كان باطلا أو فاسداً على حد سواء ، ولا قيمة له شرعا بحال ؛ وسواء أكان النهى عنه يرجع لأمر يتعلق بأصله وأركانه ، أم كان لوصف عرض له .

وقد يستدل هؤلاء لما يرون ، بقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « كُلُّ عمل ليس عليه أمرنا فهو رد ، ومن أدخل فى ديننا ما ليس منه فهو رد » كما قد يؤيدون مذهبهم أيضاً ، بأن ابن عمر رضى الله عنهما قد احتج فى بطلان زواج المشركات بنهى الله تعالى عنه إذ يقول (سورة البقرة م ٢ : ٢٢١) : « ولا تَنكحوا المشركات حتى يؤمنَّ » الآية .

على حين نرى الأحناف قد ذهبوا إلى الرأى الثانى ؛ فالنهى عن أى عقد من العقود ، فى البيع أو غيره ، قد يكون معناه أن من يقدم عليه يكون آثماً ، لا أنه يكون باطلا حتما ودائما .

كما يرون أن النهى لأمر يرجع لأصل العقد وأركانه يجعل العقد باطلا ، مثل بيع الطفل والمجنون وبيع الخمر والخنزير والميتة . فإن كان النهى لأمر آخر ، كالنهى عن بيع ما فيه غرر أو البيع وقت النداء لصلاة الجمعة ، يكون من الحق أن يكون للعقد حكم آخر ؛ أى قد يعتبر منعقداً ، ولكن يجب فسخه إلا إذا زال الأمر الذى نهى عنه من أجله .

وقد كان جميلاً من الإمام أبى حامد الغزالى ، وهو من كبار العلماء الشافعية ، أن يتعرض لهذه المسألة الهامة من الناحية الموضوعية لا المذهبية فقط ؛ أى بحث الأمر من ناحية الحق فى نفسه ، لا من ناحية نُصرة مذهبه كما نرى كثيراً من العلماء أصحاب المذاهب .

ولذلك ، نراه يذكر آراء كلٍّ من الفريقين ، ويورد ما احتج به كل فريق لنصرة رأيه ، ثم ينتهى إلى ما رآه الرأىَ الحق والمختار .

وهذا الرأى الحق والمختار هو أن النهى عن العقد من العقود لا يستلزم دائماً الفساد ؛ أى تخلف حكم العقد عنه ، مثل نقل الملكية فى عقود البيع .

إنه ، وهو بسبيل الاحتجاج لما يراه مع الرد على ما يحتج به المخالفون ، يذكر أنه لا يستحيل أن ينهى الشارع عن تصرف من التصرفات ، ثم يكون لهذا التصرف مع ذلك أثره المشروع . « فلم يستحيل أن يحرم الاستيلاد ، ويُنصب سبباً لملك الجارية ؛ ويحرم الطلاق ، ويُنصب سبباً للفراق ؟! بل لا يستحيل أن ينهى عن الصلاة فى الدار المغصوبة ، وتُنصب سبباً لبراءة الذمة وسقوط الفرض[1] » .

وقد عُنى أخيراً بالرد على احتجاج غير الأحناف بالحديث الذى ذكرناه آنفا ، وبصنيع ابن عمر رضى الله عنهما ، فقال : (وقوله عليه السلام : « كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد ، ومن أدخل فى ديننا ما ليس منه فهو رد » ، قلنا معنى قوله : رد ، أى غير مقبول طاعة وقربة ، ولا شك أن المحرم لا يقع قربة ، أما ألا يكون سبباً للحكم فلا[2]) .

وبعد هذا ، ذكر أن الاستدلال بالمناهى على الفساد ، كما فعل ابن عمر ، ليس مجمعاً عليه من الأمة . نعم قد يتمسك به (أى بهذا الاستدلال من ابن عمر ونحوه) فى التحريم والمنع ، أما فى الإفساد فلا يصح التمسك به . ونحن نرى أن هذا احتجاج قوى من الغزالى حجة الإسلام ، وهو شاهد لصحة رأى الفقهاء الأحناف .

بيوع محرمة :

ونأخذ الآن فى الكلام عن بعض البيوع غير الجائزة شرعاً ، على اختلاف الفقهاء فى بعضها ، وهذه البيوع التى نريد الحديث عنها هى :

(ا) بيع ما ليس بمال ، أو البيع بما ليس بمال .

(ب) البيوع الربوية ، ومنها بيع العينة .

(حـ) بيع الوفاء .

---

(١) راجع المستصفى من علم الأصول ، جـ ٢ ص ٢٦ — ٢٧ .

(٢) نفسه ص ٢٧ .

وربما كنا فى غنى عن الكلام فى هذه العقود ، لأن هذا العقد أو ذاك يعتبر غير جائز شرعاً متى فقد شرطا من شروط صحة العقد التى سبق أن بحثناها بتفصيل ؛ ولكنا رأينا من الخير أن نتحدث عنها بإيجاز لأن فى بعضها اختلاف بين الفقهاء ، وليكون ذلك تطبيقاً عمليا على ما ذكرنا من الشروط .

١ — فبيع ما ليس بمال لدى المسلمين ، هو مثل بيع ما حرم الله تعالى وأهدر قيمته المالية وغير المالية ، فحرم ملكه وتمليكه للغير ؛ ولعل أوضح المثل لذلك الخمر والخنزير والميتة ، وكذلك سائر المواد المخدرة أو المسكرة كالحشيش والأفيون .

وتحريم العقد على شىء من هذا ونحوه ، واضح من تعريف البيع من أنه مبادلة مال بمال بالتراضى بين المتبايعين ، وليس فى هذه الأشياء صفة المالية عند المسلمين ، وإذن يكون منطقياً تحريم العقد عليها بسبب فقدها هذه الصفة .

وبيع ما هو مال عند المسلمين بما ليس بمال كالخمر مثلا ، هو من ذلك الضرب أيضاً ، وإن سماه الأحناف بيعاً فاسداً لا باطلاً ؛ إذ يفرقون فى العقود بين ما هو باطل وبين ما هو فاسد كما عرفنا[1] .

ذلك ، بأننا نرى أن تسمية العقد فى هذه الحالة فاسداً لا باطلاً ، لا تغنى من الأمر شيئاً ، فهو عقد محرم الإقدام عليه وواجب شرعاً فسخه ؛ فإن الآية التاسعة والعشرين من سورة النساء صريحة فى النهى الغليظ عن أن يأكل بعضنا مال الآخر بالباطل ، وهنا نجد المشترى فى هذا العقد — إن جعلناه سبباً للملكية — يأخذ مال البائع بالباطل ، أى بما دفعه من ثمن وهو ليس بمال .

« الحديث موصول »

---

(١) البيع الباطل فى رأيهم لا يفيد الملكية بحال ، والفاسد يفيد ملك التصرف فى المبيع إذا قبضه المشترى ، على أن فسخ العقد الفاسد واجب شرعاً عندهم أيضاً . راجع الهداية وفتح القدير ، جـ ٥ ص ١٨٨ ، ٢٢٧ ؛ البدائع ، جـ ٥ ص ٢٩٩ ؛ شرح الزيلعى ، جـ ٤ ص ٦١ — ٦٣ .

الحقوق الشخصية الشرعية وقانون العقوبات

للأستاذ عبد القادر عودة

تمهيد :

لم يكن مبحث الحقوق الشخصية التى تقررها الشريعة الإسلامية غريباً على القضاة والمحامين قبل سنة ١٨٨٣ م كما هو غريب اليوم ، لأن أحكام الشريعة كانت سائدة فى مصر من وقت دخولها تحت حكم الدولة الإسلامية ، شأنها فى ذلك شأن أى بلد دخله الإسلام ، فكانت الشريعة تطبق فى الجرائم والعلاقات المدنية والتجارية ، وفى الإدارة والسياسة وفى العلاقات الدولية .. الخ ، ولهذا لم يكن أحد من رجال القضاء أو المحامين يجهل الحقوق الشخصية الشرعية ، لأنها جزء من أحكام الشريعة الإسلامية التى يجب تطبيقها على كل العلاقات وفى كل الأحوال .

وفى سنة ١٨٨٣ أصدر المتشرع المصرى قانون العقوبات ، وقد استمد معظم نصوصه من القانون الفرنسى ، وأخذ بعضها عن القانون العثمانى ، ولما عدِّل قانون العقوبات فى سنة ١٩٠٤ أُخذت بعض نصوصه عن قوانين لا صلة لها بالشريعة الإسلامية ، كالقانون الإيطالى والقانون البلجيكى والقانون الهندى .

وقد أنشأ المتشرع محاكم خاصة وَكَل إليها تطبيق قانون العقوبات ؛ فأدى ذلك إلى تعطيل نصوص الشريعة فى كل ما يتعلق بالجرائم ، لأن المحاكم الجديدة اعتبرت نفسها مختصة بتطبيق قانون العقوبات والقوانين الملحقة به فقط ، ولأن المحاكم الشرعية ، وهى التى كانت مختصة من قبل بتطبيق نصوص الشريعة فى جرائم الحدود والقصاص ، لم تعد تستطيع أن تطبق نصوص الشريعة على هذه الجرائم ، لأن السلطة التنفيذية أو السلطة المختصة بتحريك الدعوى العمومية لا تقدم المتهمين فى هذه الجرائم للمحاكم الشرعية ، ولا تطلب منها أن تحاكمهم وتحكم عليهم أولهم .

كذلك أنشأت السلطة القائمة على التعليم مدارس خاصة لتدريس القوانين ، وقد جرَت هذه المدارس على الاهتمام بدراسة القوانين الوضعية وإهمال دراسة الشريعة إلا فى مسائل الأحوال الشخصية ، وقد أدَّى ذلك بدوره إلى نتيجة محزنة ، إذ أصبح كل رجال القانون تقريباً يجهلون كل الجهل أحكام الشريعة الإسلامية واتجاهاتها العامة ، بل يجهلون أحكام الإسلام الذى جعله الدستور دينا رسمياً للدولة المصرية .

ولقد حرص المتشرع المصرى على أن ينص فى صدر قانون العقوبات على أن أحكام هذا القانون لا تخل فى أى حال من الأحوال بالحقوق المقررة لكل شخص فى الشريعة الإسلامية ، وبالرغم من وجود هذا النص الصريح وما يترتب عليه من نتائج عملية هامة ومن نتائج قانونية وتشريعية فى غاية الخطورة ، وبالرغم من أن الشريعة تتميز عن القوانين الوضعية بهذه الحقوق الشخصية ، بالرغم من هذا كله فإن الشراح المصريين لم يهتموا بدراسة هذه الحقوق دراسة مفصلة ، بل لم يحاولوا أن يعرفوا عدد هذه الحقوق ومداها وشروط استعمالها وعلة تقريرها وما يترتب على استعمال كل حق ، وقد اكتفوا بأن يدرسوا من الحقوق الشخصية ما يقره القانون الفرنسى ، وأن يدرسوه على الشراح الفرنسيين ، وأن يعللوه بقواعد القانون العامة كما يعلله الشراح الفرنسيون ، متناسين أن هناك نصاً فى قانون العقوبات المصرى لا مقابل له فى القانون الفرنسى ، وأن هذا النص يمنع منعاً باتاً سريان نصوص قانون العقوبات على من يستعمل حقاً من الحقوق التى تقررها الشريعة .

ولقد اندفع الشراح المصريون فى هذا الطريق تحت تأثير عاملين :

أولهما : أنهم لا يدرسون الشريعة ، ولا يعرفون شيئاً من أحكامها واتجاهاتها .

ثانيهما : أنهم يقيدون أنفسهم فى أغلب الأحوال بآراء الشراح الفرنسيين واتجاهاتهم ؛ فيحرمون ما حرموا ويبيحون ما أباحوا .

ولقد أدى كل هذا إلى نتائجه الطبيعية ، فأصبح مبحث الحقوق الشخصية بعيداً عن أذهان رجال القانون غريباً عليهم ، وأصبح نص قانون العقوبات الصريح الذى يمنع من الإخلال بهذه الحقوق نصاً معطلا، على الرغم من صراحته ودقة صياغته ، بل إن تلك الصراحة وهذه الدقة لم تمنع إحدى المحاكم من القول بأن لفظ الحقوق الذى

ورد بصيغة الجمع إنما يقصد به حق الدية وحده ، وقد وجد هذا الحكم الفريد محكمة تؤيده استئنافياً فى ١٨٨٩/٩/٧ للتفسير الصحيح الذىأخذت به المحكمة التى أصدرت الحكم الابتدائى ، كذلك لم تمنع صراحة النص ودقته بعض الشراح من القول بأن الحقوق الشخصية التى لا يسرى عليها قانون العقوبات هى الحقوق التى يقرها القانون الوضعى والشريعة معاً ، وهو رأى أقل ما يقال فيه أنه لا منطق له ؛ إذ لو كان الأمر كذلك لما كان هناك ما يدعو بأى حال للنص على الحقوق الشخصية التى تقررها الشريعة الغراء ، ولقد أعيا بعض الشراح أن يتخلص من صراحة النص وقوته ودقته فراح يدّعى أن وضع للإيهام والتمويه ، وهو تعليل لا يصدق إلى على نفس الرأى الطريف الذى يصطنعه المدعون بالإيهام .

ومع أن قانون العقوبات كان ينص صراحة على حق الدية حتى عدل فى سنة ١٩٣٧، ومع أن قانون تحقيق الجنايات ينص فى المادة ٥٦ منه على حق الدية ، فإن محكمة أسيوط الابتدائية ذهبت فى سنة ١٩٠١ إلى أنها غير مختصة بالحكم فى الدية وأن المختص بنظرها المحاكم الشرعية . ولعل أول ما يثيره هذا الحكم فى الذهن هو أن المحكمة استطاعت أن تتخلص فى لباقة تحسد عليها من الرجوع لكتب الشريعة واستظهار الأحكام الشرعية التى يجهلها أكثر رجال القانون .

ومن أجل هذا كله رأيت أن أدرس الحقوق الشخصية الشرعية دراسة مفصلة ، وأن أقدم هذا البحث لرجال القانون فى صورته الحقيقية بماله وبما عليه ، وإنى لأرجو أن يجدوا فيه من الفوائد العلمية والعملية أكثر مما وجدوا فى أى مبحث آخر ، وأن تكون هذه الدراسة فاتحة عهد جديد إن شاء الله .

أساس الحقوق الشخصية فى قانون العقوبات :

نصت المادة السابعة من قانون العقوبات على أن أحكام هذا القانون لا تخل فى أى حال من الأحوال بالحقوق الشخصية المقررة فى الشريعة الغراء .

والأصل فى المادة السابعة من قانون العقوبات الحالى هو المادة الأولى من قانون العقوبات الصادر فى سنة ١٨٨٣ وكان نصها ما يأتى :

« من خصائص الحكومة أن تعاقب على الجرائم التى تقع على أفراد الناس بسبب ما يترتب عليها من تكدير الراحة العمومية ، وكذلك الجرائم التى تحصل ضد الحكومة مباشرة . وبناء على ذلك فقد تعينت فى هذا القانون درجات العقوبة التى لأولياء الأمر شرعا تقريرها ، وهذا دون إخلال فى أى حال من الأحوال بالحقوق المقررة لكل شخص بمقتضى الشريعة الغراء » .

وعند تعديل قانون العقوبات فى سنة ١٩٠٤ ألغى صدر المادة الأولى وجعل عجزها فى الترتيب المادة السابعة ، وعلل الشارع إلغاء صدر المادة بأن العمل بهذا القانون منذ أكثر من عشرين عاما دون ان ينشأ عن ذلك خلاف مع الشريعة مما يحمل على الظن بأن لا ضرورة لوجود مثل هذه المادة[١] .

ويستخلص من نص الماده الأولى من قانون سنة ١٨٨٣ ، ومن وضعها فى صدر القانون ، ومما علل به الشارع إلغاء الجزء الأول منها ، يستخلص من كل ذلك ما يأتى :

أولا : أن الأساس الأول الذى قام عليه قانون العقوبات هو أن يكون متفقاً مع الشريعة الإسلامية ، وأن المادة الأولى وضعت لتكون دستوراً يحكم قانون العقوبات ، فلا تفسر أحكامه ومبادئه العامة بما يخرج على أحكام الشريعة ومبادئها ولو أن قانون العقوبات مقتبس من قوانين أخرى لا تمت للشريعة بصلة .

ثانيا : أن الشارع يؤكد المعنى السابق حين ينص على أن أحكام قانون العقوبات لا تخل فى أى حال من الأحوال بالحقوق المقررة لكل شخص بمقتضى الشريعة الغراء لأن هذه الحقوق مستمدة من أصول الشريعة ومبادئها العامة ، فالإخلال بها إخلال بالشريعة .

ثالثا : أن المتشرع يوجب تغليب مبادئ الشريعة على مبادئ القانون فى حالة التخالف ، فيقرر أن أحكام قانون العقوبات لا تخل فى أى حال من الأحوال بالحقوق التى تقررها الشريعة ؛ أى أنه إذا حدث تخالف أهملت نصوص القانون وطبقت نصوص الشريعة .

---

(١) التعليقات على قانون العقوبات الصادر فى سنة ١٩٠٤ .

رابعا : أن المتشرع يعترف بأنه استمد حقه فى وضع قانون العقوبات من الشريعة الإسلامية ، ويرجع إلى الشريعة ليبرر بها شرعية قانون العقوبات .

ما يترتب على اعتراف المتشرع بأنه استمد حقه فى التشريع من الشريعة :

ويترتب على اعتراف ولى الأمر أو المتشرع كما نسميه اليوم بأنه استمد حقه فى وضع قانون العقوبات من الشريعة نتائج هامة هى :

(ا) أن المتشرع يعترف بقيام نصوص الشريعة فى المسائل الجنائية وغيرها ، لأنه يلجأ للشريعة ليبرر بها عمله ، كما أن النص على عدم الإخلال بالحقوق الشرعية يؤكد هذا الاعتراف ، لأن أساس هذه الحقوق هو الحرص على منع وقوع الأفعال التى تحرمها الشريعة ، وإقامة العقوبات المقررة لها شرعا إذا تهاونت السلطة الحاكمة فى إقامتها .



(ب) أن اعتراف المتشرع بأنه استمد من الشريعة حقه فى وضع قانون العقوبات يقتضى أن لا يخرج قانون العقوبات على نصوص الشريعة ، وأن تكون الشريعة أعلى درجةً بل درجات من قانون العقوبات ، لأن الحق فى وضعه وإيجاده مستمد منها ، ولأن صاحب الحق فى وضعه يستطيع إبقاءه أو إلغاءه كما استطاع إيجاده ، ولأنه استطاع ويستطيع كل هذا لا بقوته وسلطانه وإنما بقوة وسلطان الشريعة التى منحته حق التشريع .

(ح) من المسلم به فى كل تشريع أن الشريعة التى تمنح الحق هى التى تحكم الحق ؛ فاعتراف المتشرع بأنه استمد حقه فى تقنين الجرائم والعقوبات من الشريعة الإسلامية يقتضى الرجوع إلى الشريعة دون غيرها لمعرفة ما إذا كان المتشرع قد استعمل حقه فى حدوده أو أساء استعمال هذا الحق أو خرج على حدوده ، كما يقتضى أن يكون الحكم للشريعة دون غيرها فى حالة إساءة استعمال الحق أو الخروج على حدوده .

هل استعمل المتشرع حقه فى حدوده المقررة ؟

وإذا أردنا أن نعرف إلى أى حد استعمل ولى الأمر حقه الذى استمده من الشريعة باعترافه ، وهل بقى فى حدوده أم خرج على هذه الحدود — إذا أردنا

أن نعرف شيئا من هذا ، وجب أن نرجع إلى الشريعة الإسلامية التى منحت ولى الأمر حق التشريع لنعرف حدود حقه فى التشريع ، وما يترتب على الخروج على هذا الحق ، ثم نرجع بعد ذلك إلى قانون العقوبات لنرى أ كان ولى الأمر ملتزما حدود حقه فى التشريع أم خرج على هذه الحدود .

ومعرفة هذا كله تقتضى أن نتكلم على :

١ — طريقة الشريعة فى التشريع بصفة عامة .

٢ — حق أولى الأمر فى التشريع بصفة عامة .

٣ — ما يترتب على خروج أولى الأمر على حدود حقهم فى التشريع .

ثم نتكلم بعد ذلك على طريقة الشريعة فى التشريع الجنائى ، ثم حق أولى الأمر فى التحريم والعقاب .



أولا : طريقة الشريعة فى التشريع بصفة عامة : الأصل فى الشريعة الإسلامية أنها جاءت للناس لتحكمهم فى كل حالاتهم وليحكموها فى شئون دنياهم قبل أن آن يحكموها فى شئون آخرتهم ، ولكن الشريعة مع هذا لم تأت بنصوص تفصيلية تحكم الجزئيات والفرعيات إلا فى حالات قليلة ، ومن الأمثلة على ذلك جرائم الحدود وجرائم القصاص والدية ، واكتفت الشريعة فى أغلب الأحوال بإيراد نصوص عامة مرنة تعتبر بحق القواعد العامة للتشريع الإسلامى ، والهيكل الذى يمثل معالم التشريع الإسلامى ، والضوابط التى تحكم التشريع الإسلامى ، وتركت الشريعة لأولى الأمر أن يتموا بناء التشريع على أساس هذه القواعد ، وأن يستكملوا هذا الهيكل فيبينوا دقائقه وتفاصيله فى حدود المبادى والضوابط التى جاءت بها الشريعة .

ثانيا : حق أولى الأمر فى التشريع بصفة عامة : وحق أولى الأمر فى التشريع ليس مطلقا ، وإنما هو مقيد بأن يكون متفقا مع نصوص الشريعة ومبادئها العامة وروحها التشريعية ، وتقييد حقهم فى التشريع على هذا الوجه يجعل حقهم فى التشريع قاصراً على نوعين من التشريع : —

(١) تشريعات تنفيذية يقصد بها ضمان تنفيذ نصوص الشريعة الإسلامية ،

والتشريع على هذا الوجه يعتبر بمثابة اللوائح والقرارات التى يصدرها الوزراء اليوم ، كل فى حدود اختصاصه لضمان تنفيذ القوانين .

(ب) تشريعات تنظيمية يقصد منها تنظيم الجماعة وحمايتها وسد حاجتها على أساس مبادىء الشريعة العامة ، وهذه التشريعات لا تكون إلا فيما سكتت عنه الشريعة فلم تأت بنصوص خاصة فيه ، ولا يمكن أن تكون فيما نصت عليه الشريعة . ويشترط فى هذا النوع من التشريعات أن تكون قبل كل شىء متفقة مع مبادىء الشريعة العامة وروحها التشريعية ، فهى تشريعات توضع بقصد تنفيذ مبادىء الشريعة العامة ؛ وإذن فهى نوع آخر من التشريعات التنفيذية .

ثالثاً : ما يترتب على خروج أولى الأمر عن حدود حقهم فى التشريع :

والقاعدة التى لا خلاف عليها أن عمل ولى الأمر صحيح طالما كان فى حدود حقه ، باطل فيما خرج على هذه الحدود ، فإذا أتى أولو الأمر بما يتفق مع نصوص الشريعة ومبادئها العامة وروحها التشريعية فعملهم صحيح تجب له الطاعة ، وإذا أتوا بما يخالف نصوص الشريعة أو مبادئها أو روحها فعملهم باطل بطلاناً مطلقاً فى كل ما يخالف الشريعة ، صحيح فيما عدا ذلك ، وكل ما كان باطلا لمخالفته الشريعة لا يصح العمل به ولا تجب له الطاعة .

والأصل فى هذه القاعدة قول الله تعالى : « يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ، فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول » فالله جل شأنه يوجب علينا طاعة أوامره ، كما يوجب علينا طاعة الرسول وأولى الأمر ، فالطاعة لله تجب بأمر الله ، والطاعة للرسول ولأولى الأمر تجب بأمر الله لا بأمر الرسول ولا بأمر أولى الأمر ، فإذا خرج ولى الأمر على ما أنزل الله فأمره باطل ولا تجب طاعته ، وهذا المعنى ظاهر فى قوله تعالى : « فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول » فأوامر أولى الأمر ترد عند النزاع إلى ما أنزل الله وإلى ماجاء به الرسول ؛ فإن كانت موافقة وجبت لها الطاعة ، وإن كانت مخالفة فلا طاعة لها ، ولقد أكد الرسول صلى الله عليه وسلم هذه المعانى فى قوله : « لاطاعة لمخلوق فى معصية الخالق » وفيما قاله عن أولى الأمر : « من أمركم منهم بمعصية فلا سمع له ولا طاعة » .

« يتبع »

الإسلام والعلاقات الدولية

للأستاذ الدكتور مصطفى الحفناوى

(٥)

إن الذين ينادون بفصل الدين عن الدولة ، قد ضلوا ضلالا بعيداً ، واندفعوا فى طريق رسمه الاستعمار ، لكى يكفل لنفسه الدوام والبقاء فى بلاد المسلمين .

وفصل الدين عن الدولة مسألة لها مسوغات فى البلاد التى تعتنق الصليبية ، ولكن الأمر على نقيض ذلك فى بلاد يذكر فيها اسم الله وأن محمداً عبده ورسوله ، وما على الذين يتصدّون لهذه المسألة ، إلا أن يضعوا تحت أنظارهم الحقائق الآتية ، لكى يعرفوا الفرق بين الحال فى بلاد المسلمين ، وما هو عليه فى البلاد الأخرى :

أولا : للمسلمين كتاب ، لا يتطرّق إليه الشك ، وقد دوّن هذا الكتاب حينما نزل ، وكما جاء به الوحى الأمين ، وسيظل منقوشاً على صفحات القلوب ، ونتلقفه جيلا بعد جيل ؛ قال تعالى : « إنّا نحن نزّلنا الذّكر وإنّا له لحافظون » .

وأما غير المسلمين ، فمنهم عبدة الأوثان ، وحكمهم حكم من لا دين له ، ومنهم أهل الكتاب ، وهؤلاء لا يدّعون أن الكتاب الذى يدينون به ، جاء به نبيّهم ، وأنه بعباراته ومعانيه قد أنزل ، ولم تمسّه يد الإنسان بالصياغة أو الترجمة ؛ ولذلك تعدّدت كتبهم ، وتنوّعت ترجماتهم ، فإن قلنا لهم إنها لا تمت بصلة لأنبيائهم ، فلن يستطيعوا أن يقدموا برهاناً عقلياً ينفى هذا الذى نقول به .

ونحن نقطع بأن المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ، لم يقر واحداً من تلك الأناجيل المتعدّدة ، التى تتداولها الأيدى فى بلاد الغرب على الأخص ، وتبعاً لذلك لا يمكن أن يقال إنها كتب سماوية .

ثانياً : الإسلام ، دون غيره من الأديان ، رسالة عالمية ، قد بعث الله نبيّه بالحق وأمره بتبليغ الرسالة للناس كافة ، وأما الرسالات التى سبقت فى التاريخ فقد نزلت

فى ظروف خاصة ، وكانت كلها تمهيداً للرسالة العظمى ، وقد جاءت ، حينما طغت الضلالة على البشر ، جامعة مانعة ، لتخرج الناس من الظلمات إلى النور وتهديهم سواء السبيل ؛ ولذلك لم تقف الدعوة المحمديَّة عند حد العبادة ، بل نظمت المعاملات ، وهذّبت العادات ، ولم تفرِّط فى صغيرة ولا كبيرة ، فما من مسألة يتصدى لها القانون الدَّولى العام ، الذى ينظم علاقات الشعوب بعضها ببعض ، إلا ولها قواعد وأصول رائعة فى شريعة محمد بن عبد الله ، وكذلك عنى هذا الدين القيم بالتشريع الداخلى لمسائل الأحوال الشخصيَّة ، والمعاملات المدنية والتجارية ، وبيَّن الجرائم ، وفرض العقاب عليها ، ونظَّم الإجراءات وطرق التقاضى ، وكفل الحقوق والحريَّات ؛ وظلّت القوانين القرآنية ، جديدة ومتقدمة على كل عصر ، مهما بلغ خط أهله من الحضارة والمعرفة ، وأثبتت التجارب أنها صالحة لأهل الأرض جميعاً ، مهما كانت أجناسهم وعوائدهم وأمزجتهم وثقافتهم ، وكل هذا ليس له شبيه فى أى دين آخر .



ثالثاً : يتميز الإسلام عن غيره من الأديان بأنه دين ثورى ، يحارب جبروت أهل الأرض ، ويستنفر أهله للجهاد وعدم الاستكانه ، ومقاتلة الظلم إلى حد الفداء والاستشهاد ، ومن هنا كان اهتمامه بالدولة وشئون الحكم ، ليكفل الحرية والمساواة لبنى الإنسان ، ويحفظ النظام الاجتماعى الذى أرسى قواعده على دعائم من العدل الكامل . ولكن غير الإسلام من الدعوات الدينية ، وقفت من المظالم موقفاً سلبيا ، وقالت : «أعطوا ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله» ، وحاولت أن تعالج الاستبداد ، بالابتعاد عن الدنيا ، والتنسك فى الأديرة ، ولذلك كانت الدولة بالنسبة لهذه الرسالات شيئا ، وكان الدين شيئا آخر .

رابعاً : لا كهنوت فى الإسلام ، فهذا الدين القيِّم لا يقبل بحال أن يكون حرفة ، يتوصل بها فريق من أبنائه لكسب قوتهم ، ويميزون أنفسهم به عمّن يتلقَّونَ علوم الدين عنهم ؛ ذلك لأن الأساس الإسلامى هو انعدام الواسطة بين المرء وربه ، قال تعالى : « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » ولم يكن الحال كذلك فى البلاد التى ادَّعت أنها تدين بالمسيحية ، فارتضت قيام سلطة روحية لها اليد العليا على الدولة ، وعلى الشعوب أيضاً ، وزعمت هذه السلطة أنها موكلة ببيع القصور

والضياع فى الجنة ، ففرضت على الناس — حكاما ومحكومين — ألواناً من العبودية والرق تجافى أبسط الحقوق الإنسانية ؛ ولذلك قامت الحروب الدينية ، وسالت الدماء فى أوربا أنهاراً فى العصور الوسطى ، وحُرِق بعض المصلحين ، وعُذِّب آخرون بغير الحريق ، وكل هذا كان يجرى باسم الدين وهو منه برىء . ومن أجل ذلك تنفر العقلية الأوربية من فكرة اتصال الدين بالدولة لأنها ما زالت متأثرة بفظائع الكهنة وتجار صكوك الغفران ، ولها فى هذا عذر مقبول .

خامساً : وللاعتبارات المتقدِّمة ، يدلنا الاستقراء التاريخى على ظاهرة ملفتة للنظر ، ففى فجر الإسلام كان المسلمون شديدى التمسك بدينهم ، وكان القرآن دستور الحكم ، فقامت لهم دولة عظمى ، سيطرت على بحار ومحيطات ، وخفقت رايتها فوق قارات العالم القديم . ولما تقبّلت العقلية الإسلامية ألوان الحياة التى صرفتها عن دينها ، دبَّ دبيب الانهيار فى دولة المسلمين ؛ وكان الأمر عكس ذلك تماما بالنسبة لأوربا فحينما كان الأوربيون خاضعين للكنيسة ، لم تكن لهم دول يحسب لها حساب ، وحينما أهملوا الكنيسة وتخلصوا من سلطانها ، صاروا أولى بأس شديد وقوة .

ومما تقدم ، يثبت أن فصل الدين عن الدولة ضرورة لا بد منها فى بلاد الغرب ، لأن الدين الذى يعتنقونه لم يقل به رسول ، وإنما هو تراث جماعة أرادت أن تفرض لنفسها سلطة زمنية تعلو على سلطان القياصرة والأباطرة ؛ فأشاعت الخرافات ، ونشرت الخزعبلات ، وقسمت المجتمع الإنسانى إلى طبقات بعضها فوق بعض ؛ فالطبقة الدنيا هى رقيق الأرض : أى الشعب الذى يباع ويشترى ويرهن ويورث وليست له آدمية يحميها القانون ، وفوق هؤلاء الإقطاعيون والأمراء وأصحاب التيجان ، وفوق أولئك جميعاً البابوية التى كانت تغفر لمن تشاء وتعذب من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء ، وقد احتالت فى سبيل الإبقاء على هذه الفوضى بالطقوس التى لا تختلف عن الوثنية فى شىء ، وما زالت لتلك الطقوس الوثنية مخلفات تعيش حتى الآن .

وكان ممكناً أن يظل الغرب فى جهالته الجهلاء ، راسخاً فى أغلال الكنيسة ،

ومن تبهم السلطة من الجبابرة والطغاة ، لولا أن الغرب قد أتيح له أن يتصل بالشرق ، فعرف كيف يعيش المسلمون ، وكيف يعامل الإنسان أخاه الإنسان ، وحدث هذا الاتصال حينما شنَّ الغرب حملاته الصليبية على المسلمين ، وزادت المعرفة لمَّا انعقدت أواصر التجارة بين أوربا والعالم الإسلامى ، ثم حانت الفرصة لما ركب البرتغاليون متن البحار ووصلوا إلى الهند عن طريق رأس الرجاء الصالح فى أواخر القرن الخامس عشر ، وكذلك كانت الدولة الإسلامية الأموية التى عمّرت فى الأندلس أربعة قرون ونصف منارةً للمبادئ التى أرشدت أوربا إلى نظم الحياة . ولسنا نخالف الواقع إذا قلنا إن الثورة الفرنسية التى اشتعلت فى آخر القرن الثامن عشر تدين بالفضل للفلاسفة الذين سبقوها من أمثال « روسّو » و « فولتير » وهؤلاء الفلاسفة كانوا يرددون مبادئ نادى بها الإسلام وتأصّلت فى بلاده ؛ فالثورة التى دعت إلى الحرية والإخاء والمساواة ، وقلبت الأوضاع فى أوربا ، رأساً على عقب ، تدين بالفضل للإسلام . وإذا كانت الدساتير الحديثة قد وضعت على هدى من مبادئ تلك الثورة ، فإن الأصل العالمى السرمدى ، لأقوم تلك المبادئ هو الكتاب الذى أنزل على محمد عليه السلام ، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

ولكن الغرب منافق ، ولا يريد أن يعرف الفضل لأصحابه ، بل غشّ وزيّف وكال كتّابه التهم جزافا للمسلمين ، ذلك لأن الغرب قبل أن يفيق من غفلته ، ويتحرر من جهالته ، كان لا يزال عبداً للبابوية ، وهذه ملأت قلبه حقداً على الإسلام والمسلمين ، واستنفرته لمقاتلتهم والسطو على ديارهم ، ولم يكن لهذه الحماقة من سبب إلا الخوف من النور الذى أشرقت شمسه فى القرن السابع الميلادى معلنة أنه لا وثنية ولا صكوك غفران ولا وساطة لدخول الجنة أو الفرار من النار ، فأحسّت الكنيسة أن هذه الدعوة لا بد أن تحرمها من النفوذ الذى تتمتع به ، والثراء الواسع الذى تحصل عليه ، فراحت تناصبها العداء ، وتحالفت مع الاقطاعيين وذوى التيجان لأنهم بدورهم قد هُددوا تحت تأثير دعوة الرسول الأعظم بالحرمان مما كانوا به يتمتعون ؛ كان هؤلاء يملكون الرقاب ، فكيف يقبلون ديناً يقول لهم : إن الناس سواسية كأسنان المشط ، وكانوا يملكون الأرض ، فكيف يتنازلون عنها للخير العام ،

أو يدفعون عنها الزكاة ، وكانوا يسترقون الرعايا ، فكيف يمكن أن يطيقوا ديناً يبشر بأن الناس قد ولدتهم أمهاتهم أحراراً ؟ !

تحالف أولئك وهؤلاء ضد الدولة الإسلامية ، واستغلوا سذاجة شعوبهم في العصور الوسطى ، وقد أشاعوا الأكاذيب عن المسلمين ورموهم بالتعصب ، وصوروا لهم أن الجهاد من أجل الصليب هو جهاد في سبيل الله . ومن ناحية أخرى ، كانت القرصنة عملا مشروعاً وصناعة للأمراء والنبلاء ، وأولئك قد أغرموا بخزائن الشرق والثراء الهائل الذي تمتع به المسلمون ، فتحالفت تلك العوامل كلها ، وأوجدت حالة عداء بين المسلمين والصليبيين ، استمرت بضعة قرون ، فلما اقتبس المستنيرون من العالم الصليبي المبادئ الإسلامية ادعوا أنها من بنات أفكارهم ، ولكن قلة من الفلاسفة كانت تعترف عرضاً ببعض الفضل للمسلمين ، ومن هؤلاء « فولتير » الذي مجّد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، في كتابه الذي وضعه عن الأخلاق ، وهذا مرجع من المراجع التي تبين الصلة بين الإسلام وبين الثورة الفرنسية .



وقد فشلت الحروب الصليبية جميعها ، على الرغم من أن الدولة الإسلامية كانت قد تجزأت ، وتناحرت منذ العصر العباسي ، واعترتها عوامل الهرم والشيخوخة ، فلم تكن القوة الذّاتية لهذه الدولة هي التي كفلت النصر للمسلمين في أيام الدولة الأيوبية مثلا ، وإنما انتصر المسلمون بفضل العقيدة الإسلامية وحدها ؛ وما فتئت هذه العقيدة حتى الآن هي الصخرة التي يتحطم عليها التكتل الأوربي ، ولقد نبتت فكرة الحلف المقدس في رءوس الساسة الأوربيين منذ القرن الثالث عشر ، وظلوا قرونا طوالا يتفننون في البحث عن أنجع الوسائل للقضاء على دولة المسلمين ، فظهرت في السياسة الأوربية مسألة ، كانوا يسمونها المسألة الشرقية ، وقد جنوا بها وتحزبوا ضد السلاطين العثمانيين ، واستمروا قروناً طوالا يعملون لقتل الرجل المريض ، وهم الذين أمرضوه ، ومع ذلك لم يصلوا إلى ضالتهم إلا في سنة ١٩١٨ ، حينما قطعوا أوصال آخر امبراطورية إسلامية . ومع أن أوربا كانت قد تصنعت طوال القرن التاسع عشر ، وغزت بلاد المسلمين بحملات المرابين ، وأصحاب المصارف ، وسيول المهاجرين من قطاع الطريق ، وتجار الرقيق الأبيض ، وصدّرت للشرق مدنية غربية فتّاكة ،

بما انطوت عليه من تحلل وإباحية ، واستثارة لأحطّ الغرائز ، ثم زحفت على المسلمين بالفرق المسلحة وبشركات الاستعمار ، وبكتائب المبشرين التى سارت فى ظل أعمال السطو والإرهاب — نقول مع كل هذا لم يستطيعوا أن يتخلصوا من الكتلة الإسلامية التى اقضّت مضاجعهم وهى مريضة إلا فى سنة ١٩١٨ ؛ ذلك لأن الإسلام كان يدافع عن نفسه ، حتى وإن ضعف أهله ، بقوة مبادئه . ولقد بلغوا فى النصف الثانى من القرن العشرين ، فى العمران والتقدم العلمى والفنى والصناعى شأواً بعيداً ، وأخضعوا بلاد المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها بقوة الحديد والنار ، ونهبوا ثروات المسلمين ، وأعدوا ما استطاعوا من الجيوش البرية والبحرية والجوية ، وجردوا المسلمين من مختلف وسائل المقاومة ، وعذبوهم أيما تعذيب ، وتحكموا تقريباً فى سير الفلك العالمى . ومع كل هذا هل يعتقد الغرب أن الدنيا قد دانت له ، وأن الإسلام لن تعود له دولة ، وأنهم فى مستعمراتهم آمنون ؟ ! . . إن علماء السياسة الغربيين ، فى السنوات الأخيرة ، فزعون من الإسلام ، ويرون أن قوّته التى لا تموت أبداً تتفجر من تحت أقدامهم لتنسفهم فى البلاد التى أعلنت المقاومة والجهاد ، مع ضعفها وقلة حيلتها ، وهم أشد فزعاً من الحركة الزاحفة من الشرق الأقصى ، وهى التى تخفى أنباءها دعاياتهم الاستعمارية ، ولكن أقلام علمائهم تقطع بأن هذا النور الجديد يوشك أن يحرقهم ، وأنهم إلى زوال ، والمستقبل للإسلام .

ويطيب أن نكتب عن هذه الحركات الجديدة ، ولكنّا نترك هذا الباب مؤقتاً ريثما نتتبع سير الإسلام فى العلاقات الدولية ، فى مراحل التاريخ المختلفة ، وفى كل بلد على حدة ؛ لنثبت للذين ينادون بفصل الدين عن الدولة ، فى بلاد المسلمين ، أنهم دعاة للاستعمار . وسنكون ذلك فى الأعداد القادمة إن شاء الله .

الحلم

جاء رجل إلى الأحنف بن قيس بإيعاز من آخرين ، وجعل يشتمه والأحنف صامت لا يتكلم ، حتى إذا أراد الأحنف القيام للغداء أقبل على الرجل وقال له : ياهذا إن غداءنا قد حضر ، فانهض بنا إليه إن شئت .

خاطرة :

يومٌ على هذا المنوال

خرجنا فى الصباح الى نزهة فى حدائق « أن أربر » مدينة الجامعة المعروفة فى أمريكا . وكنا ستة من المصريين ، ووقفت السيارة فى ركن من حديقة بديعة على شاطىء نهر صغير ، حيث نزلنا لنقضى بعض الوقت سيراً على الأقدام .

كان اليوم يوم السبت ، ويوما السبت والأحد هما يوما الفراغ من كل أسبوع ، وقد اجتمع فى الحدائق عدد كبير من الأمريكيين ، حاملين معهم أطعمتهم وأدوات للتسلية يقضون بها يومهم ، والحديقة معدة للجلوس إعداداً منسقاً جميلا ، وإلى جانب كل حلقة من المقاعد موقد طريف للطهى والشىّ ؛ وهكذا يحسن هؤلاء الناس الاستفادة من (عطلتهم) الأسبوعية .. ويقطعون فيها أنفسهم عن مشاغل حياتهم العادية كأنها لم تعد تعنيهم ، وأصبح ذلك فى حياتهم أمراً رتيبا يعودون بعده إلى أعمالهم أصفى ذهناً وأروح نفسا وأقدر على مواجهة تكاليف العيش ... ... وذكرنى ذلك بما كنت أقرأه عن عجوز السياسة الخبيث « تشرشل » أثناء الحرب الماضية ومواظبته على قضاء (عطلته) الأسبوعية خارج لندن فى كثير من الأيام الحرجة القاسية . وذكرنى كذلك بما قرأته فى العام الماضى عن بعض المصانع الكبيرة التى جربت أن تمنح عمالها ربع ساعة لراحة إجبارية خلال فترة العمل ، وكيف أن ذلك أحدث زيادة ملحوظة فى كمية الإنتاج وفى إتقانه !



وتبادرت إلى نفسى — إزاء هذه الخواطر — صور مكدودة للعاملين فى أقطار الإسلام ؛ وما أقلهم وما أشد الحاجة إليهم ... وما أقسى ما يأخذون به أنفسهم وتأخذهم به ظروفهم ، حتى إن أحدهم ليقضى عمره فى حريق من الفكر والهم والعمل الدائب ليله ونهاره ، لا تكاد تخلص له ساعة راحة يسكن فيها مما استدبر من أمره ، ويستجمع فيها للجديد منه ، ولعله لو خلصت له هذه الساعة لكان أقدر على الاستفادة من كل ما يمر به ، وأقر بالاً فى معالجة ما يجد عليه ولم لا ؟

ألم يكن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول لبلال حين يقبل وقت الصلاة : « أرحنا بها يا بلال ! » ، وهل الصلاة إلا رحلة روحية يفر فيها الإنسان من مشاغله الطارئة ، ومن ألوان الحياة العارضة ، ليسلم نفسه لحظات إلى معانى الحق الذى لا يتغير ، وإلى آفاقه الفسيحة المشرقة التى لا تتلون ، ليسكن هناك فى كنف الله إلى نبع صادق من السلام والرحمة ... أليس هو نفسه يعلن ذلك فى نهاية رحلته حين يردد عن يمينه وشماله : السلام عليكم ورحمة الله ! ! أليست الصلاة بذلك توجيهاً إلهياً إلى حاجة النفس الإنسانية إلى لحظات من السكينة بين الوقت والوقت ؟ لحظات يفر فيها الإنسان بنفسه من كذب الحياة ، ولا يفر فيها من نفسه كما يفعل أكثر هؤلاء الذين رأيت فى « أن أربر » ... إنهم يفرون فيها حتى من الفضيلة والطهر !

إن يوماً من الراحة النظيفة على هذا المنوال يفعل فعل السحر فى حياة العامل المكدود !

من تاريخنا الحديث :

الشرق الأوسط فى دور انتقال

للأستاذ الدكتور محمد ضياء الدين الريس

أستاذ التاريخ الإسلامى بكلية دار العلوم — جامعة القاهرة

كانت « الدولة العثمانية » فى أول القرن الحالى « العشرين » لا تزال حقيقة واقعة . بل إنها كانت كبرى الحقائق فى حياة الشرق الأوسط الإسلامى . وكانت حقيقة رائعة أيضا — فى المظهر على الأقل — بالنسبة إلى سائر شعوب العالم . وكان حكمها لا يزال يشمل أرجاء واسعة : فكان يتبعها إقليم « الشام » — هكذا كان فى الغالب يُدعى باسمه التاريخى الدال على الوحدة — وذلك منذ أن تغلّب على دولة المماليك التى كانت تحكمه السلطان « سليم الأول » فى عام ٩٢٢ هـ الموافق ١٥١٦ م . فظل الشام نحو أربعة قرون يتلقى ولاته وأوامره من « الأستانة » . وكان ينقسم إداريا إلى ثلاث ولايات : حلب ، فدمشق ، وهى الكبرى ويتبعها ما يسمى الآن « شرق الأردن » ، فبيروت ، وإلى جوارها منطقة لبنان مستقلة استقلالا ذاتيا منذ أواخر القرن التاسع عشر . ويضاف إلى ذلك لواء « القدس » وهو الذى يحكم أكثر أراضى فلسطين . وممن اشتهر من ولاة الشام فى العصور العثمانية « آل العظم » فى خلال القرن الثامن عشر وأحمد باشا الجزار ، ثم فى القرن التاسع عشر سليمان باشا وعبد الله باشا الجزار . وتولى « مدحت باشا » ولاية دمشق لمدة قصيرة فترك أثرا حسنا . وكان يتبع الدولة العثمانية أيضا إقليم « العراق » وذلك منذ أن فتح بغداد وتغلب على الأسرة الصفوية الفارسية السلطان سليمان القانونى عام ١٥٣٤ م . وكان العراق فى بعض العصور ينقسم إلى ولايات : الموصل ، فبغداد ، فالبصرة ، وشهر زور . وتمكن المماليك المجلوبون من مقاطعة جورجيا من الاستئثار بالحكم فى العراق نحو قرن ، ولكن السلطان محمود الثانى فى عام ١٨٣٠ أرسل جيشا منظما فقضى على

دولتهم ، واسترد العراق . فمنذ ذلك الوقت صار العراق يحكم حكما مباشرا ، وأخذ يفد عليه الولاة أو الباشوات من الأستانة ، واحدا إثر الآخر ، لا يذكر العراقُ منهم اليوم غير « أحمد مدحت باشا » الذى استطاع فى فترة ثلاث سنوات أن يُدخل إصلاحات هامة عديدة ، وأخذ بيد العراق فنقله من الظلام إلى العصور الحديثة . ومع ذلك فقد بقى العراق متأخرا متخلفا عن ركب المدنية حتى مطالع القرن الحالى ، لأن حياته الاقتصادية بقيت خاضعة لإقطاع زراعى متحكم يتمثل فى سلطة رؤساء « العشائر » ، ولا تزال هذه من المشكلات السياسية والاجتماعية الكبرى فى العراق .

وكان يتبع الدولة العلية أيضا ، حتى بدء الحرب العالمية الأولى ، إقليم « الحجاز » وإن كان « أشراف مكة » — وهم أسرة علوية تصعد بنسبها إلى الحسن بن على — قد استأثروا منذ قرون بالحكم فيه ، فصار وراثيا بينهم . وانتزعه « آل سعود » منهم حين كونوا دولتهم بنجد ، فى مطالع القرن التاسع عشر ، ثم استردوه ، وبقوا حاكمين الحجاز إلى عهد « الشريف حسين » وابنه « على » ، وهما آخر من حكم الحجاز من هذه الأسرة . وفى أوائل القرن الحالى كان « آل الرشيد » فى نجد — حيث كانت دولة آل سعود قد تقوضت لعهد قصير — يدينون بالولاء للخليفة العثمانى ، كما كان يتبع الدولة أيضا إقليم « الأحساء » الذى ضمه مدحت باشا إلى العراق فى أثناء ولايته ، وإمارات أخرى صغيرة فى شبه الجزيرة . وكانت طرابلس — وهى ليبيا — لا تزال تابعة أيضا للدولة العلية ، وخالية من النفوذ الأجنبى ، إذ لم تكن إيطاليا قد أغارت عليها بعد . أما مصر — هذه الوحدة الكبرى فى الشرق الأوسط — فبالرغم من أن الاحتلال الإنجليزى كان قد دهمها نتيجة لعجز وضعف وخيانة الأسرة التى كانت تحكمها ، وكانت كل جهودها موجهة لمكافحة هذا الاحتلال ، فإنها كانت تشعر أيضا أنها مرتبطة برباط عاطفى وثيق بالخلافة ، وكانت لا تزال مؤمنة بالوحدة التاريخية الروحية ، كما كانت لا تزال — من الناحية القانونية الشرعية — متصلة بالدولة العثمانية ، وفقا لشروط معاهدة « لندن » المعقودة عام ١٨٤١ ، إذ أن الاحتلال الذى جاء بعد ذلك لم يكن شرعيا ، ولم يكن له أى سند ، بل كان مجرد اغتصاب وعدوان غاشم سافر .



هكذا كان السلطان « عبد الحميد » (١٨٧٦ — ١٩٠٩) الذى خلف ثلاثين من آبائه تعاقبوا على العرش — لا يزال فى مطالع القرن العشرين يحكم دولة ، بل امبراطورية مترامية الأطراف . وكان بلاطه فى « يلدز » لا يزال يمثل الأبهة والفخامة التى كان يمثلها بلاط الخلفاء العباسيين أو السلاطين السلجوقيين . وينظم الشعراء — كما رأينا أمثلة من ذلك فى مقال سابق[١] — المعلقات الفريدة ، وتدبج الصحف المقالات الطويلة فى مدحه . ولم يكن أحد يستطيع أن يتنبأ عن ثقة — اللهم إلا إذا كان السياسى المحنك أو المؤرخ المطلع يستطيع أن يفعل ذلك — بأن نهاية هذا السلطان ، ثم خاتمة تلك الدولة ، ستكون قريبة . ولكن العوامل فى الحقيقة كانت تتجمع ، وكانت الأسباب تتكاثر ، التى كان من شأنها أنها — بعد بضع سنوات فقط من بدء القرن الحالى — أدت إلى إسقاط السلطان ، وظلت الأمور تتغير وتتطور ، حتى استقرت إلى غايتها بإلغاء الدولة كلها ، وظهر فى تركيا نظام جديد . كما تكونت نظم ووجدت ظروف جديدة فى حياة أقطار هذا الشرق الأوسط التى ذكرنا طرفا من تاريخها قبل قليل .

كانت الأداة القوية التى أدت إلى هذا الانتقال والتغيير جمعية نشأت صغيرة أولا ، ثم أخذت تنمو ويتكاثر عدد أفرادها ، تكونت فى المنفى بعيدة عن أرض السلطان ، فى باريس أو غيرها من عواصم أوروبا . ثم أخذت مبادؤها تتسرب ويُشعر بنفوذها داخل المملكة ، وينضم إليها كثير من أفراد الشعب . ولكن تأثيرها الأكبر ومركز قوتها كان بين أوساط الجيش ، فاعتنق مبادئها عدد كبير من الضباط الأحرار . وإذ شعرت بقوتها أخذت تضع الخطط وتعد عدتها لإحداث انقلاب تاريخى تتخلص الدولة على إثره من السلطان الاستبدادى لآل عثمان ، ويهيأ الجو لإيجاد حياة دستورية سليمة تستطيع الأمة عن طريقها أن تعبر عن رغباتها وتنفذ إرادتها . كانت هذه الجمعية فرعا أو وليدا لجماعة « تركيا الفتاة » التى أسسها الرجل الحر الثائر « مدحت باشا ، وقد مات هذا الرجل أو اغتيل بالسم منفيا بالطائف

---

(١) العدد السابع ، السنة الثانية من « المسلمون » ص ٥٨ ، ٥٩ .

عام ١٨٨٣ . ولكن مبادئه ظلّت حية فى صدور أتباعه ومريديه ، فلم تمض إلا سنوات قليلة ، ظهرت فيها الآثار السيئة لحكم عبد الحميد جلية أمام أعين الأمة ، حتى هبَّ الأحرار من أبناء تركيا يسعون لتدارك الحال ؛ فكان من أثر تلك الجهود تكوين « جمعية الاتحاد والترقى » وهى هذه الجمعية التى كُتب لها فى التاريخ أن تحدث هذا الأثر الهائل فى تاريخ تركيا والخلافة ، ثم فى تاريخ الشرق الأسط بأكمله ، بل فى تاريخ العالم .

أحكمت « جمعية الاتحاد والترقى » خطتها ، وحزمت أمرها ، وقامت بثورتها فى خلال شهر يوليو من عام ١٩٠٨ . وبدأت فى « سلانيك » بمقدونيا ، وأخذ جيشها يزحف نحو العاصمة ، وانضمت إليه فرق الجيش ، وسلمت إليه الحملات التى أرسلها عبد الحميد لقمعها ، وهكذا نجحت الثورة وأسقط فى يد عبد الحميد فلم يستطع إلا الإذعان . وأعلن أنه مستعد لإجابة طلبات الأمة ، وقرر فتح البرلمان الذى أغلقه ، وإعادة الدستور الذى ألغاه ، يوم أن نفى زعيم الأحرار فى تركيا « مدحت باشا » وكان ذلك قبل ثلاثين عاما . واستولى زعماء الحركة وفى طليعتهم أنور بك ونيازى بك وجمال بك وغيرهم على الحكم ، ولم يعد للسلطان أمر ولا نهى ، ثم قرروا خلعه نهائياً فى عام ١٨٠٩ حين حاول أن يقوم بثورة مضادة ؛ وبذلك بدأ عهد الاتحاديين فى تركيا والشرق الأوسط والبلقان .

كان فرح الناس — ولا سيما الأحرار — بنجاح هذه الثورة عظيما ، وانتعشت الآمال ، وتطلع الجميع لمستقبل زاهر وعهد مشرق من الإصلاح . ولم يكن فرح العرب بأقل من فرح الترك أنفسهم بزوال عهد الحكم الفردى المستبد ، وكان لكلمة الدستور أثر السحر فى كل قلب ، فكل إنسان ظن أنه بمجىء الدستور سُيقضى على كل فساء ويبدأ كل صلاح . ظن الناس فى الشام ومصر والعراق والحجاز وغيرها أن دولة إسلامية فتية جديدة قد بدأ عهدها ، وأن اتحاداً وثيقاً سيكون بين كل الأقطار التى يتكون منها الشرق الأوسط الإسلامى بما فيه تركيا . وإذا أردنا أن نأخذ صورة عن هذا الفرح الغامر الذى شمل كل قلب فلنصغ مثلا إلى بعض ما قال حافظ وشوقى من شعراء مصر إشادة بالعهد الجديد وتحية لرجاله :

قال « حافظ » من قصيدة عنوانها « عيد الدستور العثماني » ، أنشدها في حفل جامع أقيم بحديقة الأزبكية في مساء الجمعة ٢٣ يوليو سنة ١٩٠٩ م ، قال :

أجلْ هذه أعلامه ومواكبه هنيئاً لهم فليسحب الذيل ساحبه
هنيئاً لهم فالكون في يوم عيدهم مشارقه وضَّاءة ومغاربه
رعى الله شعباً جمّع العدل شمله وتمت على عهد الرشاد رغائبه

إلى أن قال — مشيراً إلى رجال الثورة — :

ثلاثة آساد يجانبها الردى وإن هي لاقاها الردى لا تجانبه
روت قول « بشار » فثارت وأقسمت وقامت إلى « عبد الحميد » تحاسبه
(إذا الملك الجبار صعّر خده مشينا إليه بالسيوف نعاتبه)

...

رجال من الإيمان ملأى نفوسهم وجيش من الأتراك ظمأى قواضبه
صوالجه سمر القنا ، وكراته رءوس الأعادي ، والحصون ملاعبه

...

فمن لم يشاهد يلدزا بعد ربها وقد زال عنه الملك واندك جانبه
وقلمت الأقدار أظفار بطشه ودلّ على ما تجهل الجنُّ حاجبه
ولم يغن عن عبد الحميد دهاؤه ولا عصمت عبد الحميد تجاربه
ولم يحمه حصن ولم ترم دونه دنانيره والأمر بالأمر حازبه
وأصبح في منفاه والجيش دونه يغالب ذكرى ملكه وتغالبه

...

مضى عهد الاستبداد واندك صرحه وولت أفاعيه وماتت عقاربه
لك الله يا (تمّوز[1]) إنك بلسم لجرحى الأسى والدهر تعدو نوابه
فديناك من شهر أغر محجل أوائله ميمونة وعواقبه
تقابله الأعياد في الأرض كلما تجلى هلال الشهر أو لاح حاجبه

إلى آخر القصيدة .

---

(١) تموز هو شهر « يوليو » فما أعجب التوافق بين مصرعي طاغيتين !

أما « شوقى » فقد قال :

سل « يلدزا » ذات القصورِ　هل جاءها نبأ البدور ؟
لو تستطيع إجابةً　لبكتك بالدمع الغزير
أخنى عليها ما أنا　خ على الخورنق والسدير
...
أين الأوانس فى ذرا　ها من ملائكة وحور
المترعات من النعيـ　ـم الروايات من السرور
...
الآمرات على الولا　ة الناهيات على الصدور
أمضى نفوذا من زبيـ　ـدة فى الإمارة والأمير
...
دارت عليهن الدوا　ئر فى المخادع والخدور

إلى أن قال :

عبدَ الحميد حساب مثـ　ـلك فى يد الملك الغفور
سُدت الثلاثين الطوا　ل ولسن بالحكم القصير
تنهى وتأمر ما بدا　لك فى الكبير وفى الصغير
لا تستشير وفى الحمى　عدد الكواكب من مشير
كم سبَّحوا لك فى الروا　ح وألّهوك لدى البكور

ثم قال يخاطب الجيش الذى قام بالحركة :

يا أيها الجيش الذى　لا بالدعىّ ولا الفخور
كالليث يسرف فى الفعا　ل وليس يسرف فى الزئير
الخاطب العلياء بالـ　أرواح غالية المهور
يتلو الزمان صحيفة　غرا مذهبة السطور
فى مدح (أنورك) الجرى　ء وفى (نيازيك) الجسور
يا (شوكت) الإسلام بل　يا فاتح البلد العسير

إلى آخر ما قال .

وفى قصيدة أخرى مطلعها :

بشرى البرية قاصيها ودانيها حاط الخلافةَ بالدستور حاميها

قال :

ياشعب عثمان من ترك ومن عرب حياك من يبعث الموتى ويحييها
صبرت للحق حين النفس جازعةٌ والله بالصبر عند الحق موصيها
نلت الذى لم ينله بالقنا أحد فاهتف (لأنورها) واحمد (نيازيها)
ما بين آمالك اللائى ظفرتَ بها وبين (مصر) معانٍ أنت تدريها

* * *

فكل هذا يدل على عظم الفرحة التى شعرت بها النفوس فى كل أقطار الشرق ، لتكليل هذه الحركة الدستورية التى تهدف إلى الإصلاح بالنجاح . ولبث الجميع يترقبون ما تسفر عنه الحركة من خير النتائج وأعودها بالنفع على الأمة ومستقبلها والدين ، وما ستحققه من أعمال عظام . ولكن هل برر المستقبل ما شعر به الناس من الفرح فى هذه اللحظة ؟ وإلى أى حد حققت الثورة الآمال ؟ وما ذا كان أثرها الحقيقى فى حياة الأمة ؟ وما هو الحكم الذى سجله التاريخ عليها ؟ « يتبع »

القوة داعية الإنصاف

ولستُ أبالى بعد طول تجاربى أمعتكرٌ جوُّ السياسة أم صافِ
إذا السيفُ لم يُنصفك ممن تخافه فلستَ على حالٍ بآمل إنصاف

« خير الدين الزركلى »

قصة تمثيلية :

مولد النور

للأستاذ علي أحمد با كثير

(١)

[فى بيت آمنة بنت وهب . آمنة وجاريتها بركة (أم يمن)]

بركة : كلا يا مولاتى . . . لن أدعك تباشرين اليوم أى عمل .

آمنة : ويحك يا بركة دعينى أساعدك قليلا فى عملك فإنى بخير .

بركة : كلا كلا لا حاجة بى إلى مساعدتك . عليك أن تستريحى فهذا آخر شهرك التاسع .

آمنة : لكنى لا أجد أى ثقل ولا ألم ، بل إنى لأجدنى اليوم أنشط منى فى أى يوم مضى .

بركة : أما إن أمرك يامولاتى لعجيب . أما زلت تسمعين صوت ذلك الهاتف ؟

آمنة : كل ليلة يا بركة .

بركة : ماذا سمعته البارحة يقول ؟

آمنة : سمعته يقول : يا آمنة بنت وهب إنك حملت سيد هذه الأمة ، فإذا وقع إلى الأرض فقولى : أعيذه بالواحد من شر كل حاسد .

بركة : ألا أدعو لك قُتيلة بنت نوفل لعلها تستطيع أن تفسر لك هذا الأمر بما عندها من علم أخيها ورقة بن نوفل ؟

آمنة : كلا . . ما بى إلى علمها ولا إلى علم أخيها حاجة .

بركة : إنها يا مولاتى حفية فى السؤال عنك ، لا ترانى ألا سألتنى عنك وعن حملك فماذا يضيرك لو دعوتها إليك ؟

آمنة : ألم تعلمى يابركة أنها صاحبة عبد الله، وأنها تنفس هذا الحمل علىّ وترى أنى سلبتها إياه . أنسيت قولها عنى :

لله ما زهـــرية سلبت   ثوبىّ ماسلبت ولا تدرى ؟

بركة : لكنها تحبك اليوم ولا تنفس عليك . إن سؤالها عنك لسؤال المحبة المخلصة .

آمنة : [تتنهد] ايًّا ما يكن حالها فقد انقضى الذى بيننا منذ ذهب عبد الله إلى غير معاد !

بركة : واحسرتاه على مولاى عبد الله ! ويحه ما كان يخلص من محنة التضحية حتى غوضر فى شبابه قبل أن يهنأ بشىء .

آمنة : ياليته عاش حتى يرى وليده هذا ولو سحابة يوم ! آه يا بركة لولا هذا الصوت الذى يبشرنى دائما ويعزينى ، ولولا أنى حريصة على أن يبقى لعبد الله عقب منى لكنت هلكت حزنا عليه .



بركة : أجل يا مولاتى إن مصابك به لفوق كل مصاب .

آمنة : ولكن نساء قريش يلمننى على مايرين من تجلدى وتصبرى، ويعددن ذلك سلوانا منى عن ذلك الذى يقلن عنه إنه أجمل هاشمى درج على أرض البطحاء ، وإن أية واحدة منهن لو فجعت به ما عاشت بعده يوما . الله لهن ! إنهن لا يعلمن ما فى قلبى ولا يدرين أمر هذه الهواتف التى درجت تبشرنى فى كل ليلة . ولو أنى قلت لهن شيئاً من ذلك لرميننى بالمس أو بالاختلاق .

بركة : [فى اهتمام مفاجىء] مولاتى مولاتى . . هذه قتيلة مقبلة !

آمنة : قُتيلة !

بركة : نعم .

آمنة : مرحبا بها . . أكرمى مقدمها يا بركة .

قتيلة : [تدخل] عمى صباحا يا آمنة !

آمنة : مرحباً بك ياقتيلة . لطالما بلّغتنى بركة جميل سؤالك عنى . لا عدمتك !

قتيلة : رعاك الله يابنت وهب . ماوسعنى اليوم إلا أن أجىء بنفسى لأراك وأرى غلامك السعيد الميمون

آمنة : ويحك يا بنت نوفل إنه ما زال فى غيب الله .

قتيلة : ستضمينه اليوم يا آمنة . لقد حدثنى أخى ورقة أنه رأى البارحة ذلك النجم الأحمر الذى يظهر ليلة مولد ذلك النبى المنتظر وقد بعثنى لأستطلع .

آمنة : أو قد حدثك بذلك ؟

قتيلة : إى والله وقد ظننت أننى سأجدك قد ولدته .

بركة : لكن مولاتى لا تشكو اليوم شيئاً ولا ندرى متى يأتيها الطلق .

قتيلة : إن يكن هو الذى حملت به حقاً فسيأتيها الطلق اليوم لا محالة ، وإلا كان ذلك فى بيت آخر .

بركة : كلا لن يكون ذلك فى بيت آخر أبداً . إن مولاتى لتسمع الهواتف كل ليلة تبشرها بذلك .

آمنة : مه يا بركة !

قتيلة : الهواتف ؟ فيم يا آمنة تكتمين ذلك عنى ؟ أو تظنين يا أختاه أننى ما زلت أجد عليك لأنك سلبتنى هذا الشرف ؟ كلا ورب الكعبة لقد اختارك الله وقضى الأمر . وإنك لأولى بذلك منى فأنت زوج عبدالله وهو بعلك ، وما كنت إلا غريبة دعته إلى استبضاعها لتفوز دونك بالحظ الذى كتبه الله لك . نخبرينى يابنت وهب ماذا تقول لك الهواتف ؟

آمنة : إنه هاتف واحد بذاته ياقتيلة ، وقد قال لى أموراً كثيرة وعيت بعضها وعزب عنى بعض .

بركة : حدثيها يامولاتى بما قال لك البارحة .

قتيلة : أجل ماذا قال لك البارحة يا آمنة ؟

آمنة : قال لى : يا آمنة بنت وهب إنك حملت سيد هذه الأمة ، فإذا وقع إلى الأرض فقولى : أعيذه بالواحد من شر كل حاسد .

قتيلة : فابشرى يا آمنة أنه هو لا ريب ... هو النبى المنتظر . قد علمت أن عينى لم تكذبنى ذلك اليوم إذ رأيت تلك الغرة المتوقدة كالكوكب الدرى على جبين عبد الله فلما عاد إلىّ من عندك التمستها فلم أجدها إذ انتقلت

إلى أحشائك يا آمنة . إنه هذا الجنين الذى فى بطنك وإنه سيخرج اليوم لا محالة .

آمنة : [تتأوه تأوها خفيفا] آه !

بركة : ما خطبك يا مولاتى ؟ أتشكين شيئاً ؟

آمنة : لا شىء يا بركة إلا وجعا يسيرا آنسته يدب فى ظهرى .

قتيلة : هلم القابلة يا بركة فإنى لا أحسن هذا الشأن ، ويا ليتنى أحسنه !

بركة : ولا أنا يا أختاه .

قتيلة : انطلقى حالا . . . انطلقى إلى الشفّاء فإنها أكرم قابلة فى مكة . أتعرفين دارها ؟

بركة : نعم أعرف دارها . . على أن تبقى أنت عند مولاتى ريثما أعود ؟

قتيلة : ويلك لن أريم مكانى هذا حتى أشهد الغلام الميمون .

[تخرج بركة منطلقة]

آمنة : قتيلة !

قتيلة : نعم يا آمنة .

آمنة : جزيت عنى خيرا . . . لقد والله آنستنى وسرّيت عنى .

قتيلة : بوركت يا بنت وهب . لئن فاتنى أن أكون أمًّا ما فاتنى أن أكون أول عين تراه !

(٢)

[فى الحجر عند الكعبة . يُرى عبد المطلب جالسا وحده]

[يدخل المغيرة المخزومى ووائل السهمى]

المغيرة : ذاك عبد المطلب جالساً وحده . . هلم يا وائل نجلس إليه .

وائل : ماذا نصنع عنده يا مغيرة ؟ إنه لم يزل محزونا على ابنه عبد الله كأن لم يمت لأحد قبله ولد !

المغيرة : صدقت دعنا ننتح بعيداً عنه لنتحدث فى شؤوننا . انظر : ذاك ابنه أبو طالب قد أقبل إليه !

وائل : دعه يواسى أباه الشيخ ! [يبتعدان] .

أبو طالب : عم صباحا يا أبى . . أنت هنا وحدك ؟

عبد المطلب : أجل يا بنى .

أبو طالب : وتدمع عيناك ؟

عبد المطلب : ويلك هل يرانى أحد من قريش ؟

أبو طالب : لا يا أبت إنهم بمعزل عنك . وهبهم رأوك فما شأنهم بك ؟

عبد المطلب : كلا يا بنى لا أحب أن يروا جزعى فطالما لامونى فى عبد الله . إنهم يا عبد العزى لقساة القلوب .

أبو طالب : وإنك فى الحق للوم بعض اللوم .

عبد المطلب : ويلك يا عبد العزى لا أرينّك قاسياً مثلهم .

أبو طالب : كلا ما بى من قسوة ، بيد أن عبد الله أخى قد مضى ولن يعود وقد حال الحول على وفاته أو كاد فإلام الحزن والبكاء عليه ؟

عبد المطلب : ويحك يا بنى إن حزنى عليه ليتجدد فى قلبى كل يوم .

أبو طالب : لئن ذهب عبد الله لقد بقى سائر ولدك وكلهم ساعد لك وعضد ولن يقوم لك عبد الله بشىء لا نقوم به نحن لك .

عبد المطلب : آه يا عبد العزى والله ما معونة عبد الله بالذى افتقدت ، وإلّا لكان لى فيكم عنه العوض . فما كان عبد الله بأقوى منكم ولا أنهض بالجلّى . ولكن لعبد الله عندى شأنا ليس من شؤون هذا العيش الذى نغدو فيه ونروح .

أبو طالب : ماذا تعنى يا أبى ؟

عبد المطلب : ماذا أشرح لك يا عبد العزى من أمور شهدتها أنت بعينك وكنت جديراً أن تفقهها بنفسك ؟ ألم تر كيف فُدى عبد الله بالإبل المائة ؟

أبو طالب : بلى .

عبد المطلب : ألم تر كيف تزوج آمنة بنت وهب ولم يقض معها إلا قليلا ؟

أبو طالب : بلى

عبد المطلب : وكيف سافر السفرة التى سافرها فلم يعد منها ؟

أبو طالب : بلى

عبد المطلب : فلأمر ما فُدى عبد الله ليعيش ، ثم لأمر ما سافر بعد زواجه وشيكا ليموت!
دع عنك تلك الآية التى شهدناها منذ شهرين كيف رد الله عنا صاحب الفيل فأهلكه وجيشه بتلك الطير الأبابيل !

أبو طالب : صدقت يا أبت إن لهذا كله لشأنا وإنه لحرى أن يعزيك عن كل هالك .
وعسى أن تجيء آمنة بغلام يكون أحب إليك وأفضل لك من أبيه .



عبد المطلب : أى والله إن جاءت بغلام فلأسمينه محمداً . . محمد بن عبد الله ابن عبد المطلب !

أبو طالب : انظر ! هذه بركة يا أبى . . جارية آمنة !

عبد المطلب : بركة ! هلمى يا بركة ! ماذا وراءك ؟

بركة : أبشر يا سيدى . مولاتى آمنة جاءتك بغلام !

عبد المطلب : [هاتفاً] اللهم لك الحمد يارب الحمد !

(٣)

[فى بيت آمنة]

أم العاص : أرينى يا شفاء أنظر إليه !

الشفاء : قد رأيته يا أم العاص فحسبك !

أم العاص : أشتهى أن أتملى برؤيته . يا له من غلام جميل لم تر عينى مثله قط !

قتيلة : [تتمتم] هذا هو ! هذا هو !

أم العاص : عجباً لقد خرج نظيفاً كما يخرج السخل ما به من قذر !

قتيلة : هذا هو . . هذا هو !

الشفاء : تنحى عنه قليلا ياأم العاص

أم العاص : انظرى . . إنه مكحول ثم انظرى . . إنه مختون !

قتيلة : هذا هو . . هذا هو !

أم العاص : عجباً . . إنه شاخص ببصره إلى السماء .

قتيلة : هذا هو !

أم العاص : هو ماذا يا قتيلة ؟

قتيلة : النبي المنتظر

المرأتان : النبي المنتظر ؟

قتيلة : نعم ألم تريا ذلك النور الذى خرج معه ؟

الشفاء : بلى لقد كاد يخطف بصرى

أم العاص : وأنا نظرت إلى السماء ساعتئذ فرأيته قد أضاء ما بين المشرق والمغرب

الشفاء : آمنة ! ما بالك صامتة يا آمنة ؟ ألم تسمعى ما تقول قتيلة ؟



آمنة : بلى قد سمعت

الشفاء : فما خطبك ؟ هل من وجع ؟

آمنة : كلا لا وجع البتة . . أين بركة ؟

الشفاء : انطلقت لتبشر أباه

آمنة : [فى شىء من الأسى] أباه ؟

الشفاء : أجل . . أباه عبد المطلب

آمنة : حقاً إن عبد المطلب لأبوه ونعم الأب الكريم

أم العاص : هاهو ذا قد أقبل !

عبد المطلب : [يدخل] كيف أنت يا آمنة ؟

آمنة : بخير يا عماه

عبد المطلب : [فى فرح] ابنى ! هذا ابنى ! يا بشراى بمحمد !

آمنة : محمـــد ؟

عبد المطلب : أجل قد سميته محمداً يا آمنة

آمنة : لكنى أمرت بأن أسميه أحمد

عبد المطلب : الهاتف أمرك بذلك ؟

آمنة : نعم

عبد المطلب : فهو أحمد وهو محمد: أحمد عند الله ومحمد فى الناس. هل لى أن أحمله ياشفاء؟

الشفاء : افعل يا أبا الحارث على أن ترفق به

عبد المطلب : [يحمله] انظرى يا آمنة . . إنه يحبنى ويتعلق بى ! والله لأحملنه الساعة إلى الكعبة فلأدعون له الله أن يجعله مباركا

الشفاء : أرفق به يا عبد المطلب

عبد المطلب : ويحك ياشفاء إنه ابنى وحبيبى وإنه لصاحب الشأن ، لن تراعى يا آمنة . . سأعود به وشيكا [يخرج]

قتيلة : عجبا . . إن عبد المطلب ليعلم أمره . لأنطلقن الساعة إلى ورقة أخى فليفرحن بالبشارة

(٤)

[فى الحجر عند الكعبة]

[ورقة بن نوفل يسعى خلف عبد المطلب]

ورقة : مهلا يا أبا الحارث يا عبد المطلب !

عبد المطلب : من ؟ [يلتفت] ورقة بن نوفل . . هلم هنئنى يا ورقة !

ورقة : [يدنو منه] أهنئك وحدك ؟ إنى أهنىء جميع أهل الأرض !

عبد المطلب : بأى شىء ياورقة ؟

ورقة : بهذا الغلام الذى تحمله .

عبد المطلب : إنه ابنى يا ورقة . . ابن عبد الله . . ابن آمنة بنت وهب

ورقة : أجل . . أرنى يا أبا الحارث أنظر إليه

عبد المطلب : انظر . . ما أجمله ! ما أروعه ! ما أودعه !

ورقة : أجل إنه هو . . . والله ليكونن لابنك هذا شأن . إلى أين تمضى به يا أبا الحارث ؟

عبد المطلب : إلى جوف الكعبة . . اسبقنا يا عبد العزى فافتح لنا باب الكعبة .

أبو طالب : حباً يا أبت وكرامة . [ينطلق نحو باب الكعبة] .

ورقة : كلا يا أبا الحارث لا تفعل .

عبد المطلب : ويلك يا ابن نوفل أتربأ بالكعبة عن ابنى ؟

ورقة : كلا يا عبد المطلب بل أربأ بابنك هذا عما فى جوفها من الأوثان .

عبد المطلب : دعنى من هذا أيها الصابئ عن دين آبائك . والله لأدخلنَّه به الكعبة فلأدعون الله له فى جوفها .

ورقة : ادع الله له هنا فى ظاهرها يا أبا الحارث .

عبد المطلب : والله لا أدعو له إلا فى جوفها ! مابالك ارتددت ياعبدالعزى ؟ ماخطبك ؟

أبو طالب : أمر مهول يا أبت .

عبد المطلب : ماذا حدث ؟

أبو طالب : الأرباب يا أبت . الأرباب .

عبد المطلب : ما بالها ؟

أبو طالب : جاثية على وجوهها جميعاً فى الأرض !

عبد المطلب : حتى هبل ؟

أبو طالب : حتى هبل !



عبد المطلب : وى ما سمعت كاليوم عجباً !

ورقة : لا تعجب يا عبد المطلب . فهذا الذى تحمله هو عدوها جميعاً .

عبد المطلب : دعنى من أساطيرك يا ابن نوفل . [لأبى طالب] اعدلها يا بنى أو اعدل هبل وحده قبل أن ندخل .

أبو طالب : سأفعل يا أبى .

ورقة : ياابن هاشم اسمع نصحى.. لا ينبغى لك أن تدخل بهذا الغلام إلى حيث الأوثان .

عبد المطلب : مهلا يا ورقة دعنى وشأنى .

أبو طالب : [يظهر على باب الكعبة] قد عدلته يا أبت . . عدلت هبل وحده .

عبد المطلب : أحسنت [يدنو من الباب] باسمك اللهم [يدخل جوف الكعبة] .

[يسمع صياح الغلام]

أبو طالب : [على الباب] إنه يا أبت يضطرب ويصيح !

عبد المطلب : [يسمع صوته] عجباً قد كان هادئاً وديعاً فما الذى أبكاه هنا ؟

أبو طالب : لعل الآلهة لا تريده فهى تعتريه بسوء !

عبد المطلب : [صوته] لا تكن يا بنى كورقة . . إن الآلهة لا تريد غيره . . هو البركة وهو الآية وهو صاحب الشأن .

أبو طالب : فاخرج به من هنا فإن كف عن بكائه علمنا أن الآلهة هى السبب .

عبد المطلب : [صوته] صدقت . [يظهر خارجاً من جوف الكعبة] عجباً لقد كف عن البكاء !

أبو طالب : انظر يا أبت . . إنه يضحك والدمع فى عينيه !

ورقة : ألم أقل لك يا أبا الحارث ؟

عبد المطلب : ويلك أتظن أن الآلهة كانت تؤذيه ؟



ورقة : كلا إنها لا تقدر أن تؤذى أحداً ولا جناح بعوضة ، ولكنه هو الذى يكرهها ولا يطيق الوجود بينها ، ووالله يا عبد المطلب ، ورب هذه البنية ليبلغن أشده فليحطمن هذه الأصنام يوماً وليطهرن من رجسها الكعبة .

عبد المطلب : لكنى أريد أن أدعو له الله فى جوفها .

ورقة : نحِّ هذه الأوثان إذاً قبل ذلك .

عبد المطلب : ويلك ما ذا تقول إذاً قريش عنى ؟ صبأ عبد المطلب كما صبأ ورقة بن نوفل؟

ورقة : إذن فادع له الله هنا خارجها إذا شئت .

عبد المطلب : أجل . . سأفعل . [فى حنان وابتهال] .

الحمد لله الذى أعطانى هذا الغلام الطيب الأردان

أُعيذه بالبيت ذى الأركان من شر كل حاسد وشانى

أبو طالب : انظر يا أبى إلى الغلام . إنه يبتسم متهللا كأنه البدر ! إنه يبتهل كأنما يدعو معك !

عبد المطلب : أجل ما أجمله وما أروعه ! بأبى أنت وأمى يا بنىّ الحبيب !

ورقة : قد آن لكما أن تعيداه إلى حجر أمه .

عبد المطلب : أجل . . لعلها مشفقة عليه ، ولعله يريد أن يرضع . هيّا يا عبد العزى لتسلّم معى على آمنة .

أبو طالب : اسبقني يا أبت وأنا آت على الأثر .

عبد المطلب : فيم يا بني ؟

أبو طالب : ينبغي أن أنصب هذه الآلهة أولاً وأقيمها في أماكنها ألّا يراها أحد هكذا فيظن بنا الظنون .

عبد المطلب : أصبت يا بني . اسمع يا عبد العزى وأنت يا ابن نوفل إياكما أن تحدثا قريشاً بما وقع لهبل والآلهة الأخرى فلن تصدق قريش ذلك إلّا أن تظن أننا نحن الذين فعلنا بها ذلك .

ورقة : أجل يا عبد المطلب علينا أن نكتم هذا السر من أجل سلامة الغلام .

عبد المطلب : جُزيت خيراً يا ابن نوفل !

ورقة : عما قريب ترى قريش ما ترى ، وتسمع قريش ما تسمع ؛ فطوبى يومئذ لمن آمن به ، وويل يومئذ لمن عاند وكفر .

عبد المطلب : ويحك يا ورقة أو يكون لابني كل هذا الشأن ؟

ورقة : أجل كأني به يخرجه قومه من هذا البلد فلا يزداد أمره إلّا علواً وانتشاراً .

عبد المطلب : بأبي هو وأمي أو مخرجوه هم يا ورقة ؟

ورقة : إي والله مثلما أنطق الساعة يا عبد المطلب ، فلئن عشت حتى يدركني يومه لأنصرنه نصراً مؤزراً .

عبد المطلب : بوركت يا ورقة لقد والله زدتني مسرة على مسرة بيد أنك جعلتني أشفق عليه من قريش .

ورقة : إنه ابن اسماعيل ودعوة إبراهيم وإن رب إبراهيم وإسماعيل لكالئه وحافظه .

عبد المطلب : وقريش يا ورقة ؟

ورقة : دعك من قريش ! سيأتي على الناس يوم يا عبد المطلب تذهب فيه قريش ولا يبقى لها من ذكر إلا أنها كانت يوما ما عشيرة هذا الغلام .

« ســـتار »

حول السياسات الاقتصادية

للأستاذ عيسى عبده إبراهيم

أستاذ إدارة الأعمال بكلية التجارة بجامعة إبراهيم

(٣)

بينا فيما تقدم ، أن عمل المقرض هو الانتظار ، والناس تعمل جاهدة ومخاطرة ، وقلنا بأن المعاملات الربوية قد وافقت خطط الاستعمار الغربى لشعوب الشرق وأراضيه ، وبالتالى كانت هذه المعاملات من أدوات الاستعمار ، وفيما يلى حلقة ثالثة من هذا الحديث .

قرض الاستهلاك :

يعقد قرض الاستهلاك لمصلحة مدين مُعوز ، لا تفى موارده لمواجهة التزامات عاجلة شديدة الإلحاح عليه ، كإنقاذ ولده من مرض طارئ ، أو درء خطر يشتد إذا طال السكوت عليه ، وليس فى قرض الاستهلاك فكرة التثمير والإنماء . وهكذا لا ينصرف ما تقدم من قول فى الحديثين السابقين إلى هذا النوع من القروض .

والمفروض أن المدين الذى يعقد قرض الاستهلاك ضعيف بموارده ، وضعيف بزيادة حاجاته على دخله المحدود ، ومن أجل ذلك يكاد يتفق الكتاب على تحريم الفائدة على هذا النوع من القروض .

وظاهر بجلاء أن الدافع إلى اعتناق هذا الرأى ، هو دافع إنسانى ، يأبى على المصلح الاجتماعى أن يسمح للقوى باعتصار الضعيف واستغلاله .

ومن هنا نشأت فكرة القرض الحسن ، وأقيمت لتنفيذها المؤسسات ، وانعقد الإجماع — أو كاد — على استحسان هذا النوع من التراحم بين الناس .

أما أن يكون للقرض الحسن أساس علمى ، فمسألة فيها نظر .

التسمية فى ذاتها لا تخلو من الجرأة ، فالأصل فى القرض الحسن أن يكون بأصوله وفروعه للمصلحة العامة كتجهيز حملة تدرأ الطغيان عن مقدساتنا وتراثنا ، أو لمصلحة

طائفة من الناس حلّت بها قارعة ، وكان بين المقرض والمستفيد وشيجة من الدين أو عهد وميثاق .

ومن المتفق عليه أن القرض فى هذه الحالة يستهدف الثواب من الله عز وجل ، ولا ينظر فى عمله إلى غير ذلك من الاعتبارات ، ولا يكاد الباحث يقع على فروق تميّز القرض الحسن عن الصدقة وما فى حكمها من مال ينفقه صاحبه سرّا وعلانية ، ابتغاء مرضاة الله ، ولا يشترط المقرض هنا ، بل لا يتوقع أصلا ، استعادة ماله فضلا عن الحصول على ثمرته .

سيقول المتشيعون لمؤسسات القرض الحسن بأنها تنطوى على صدقة جزئية تتمثل فى إغاثة الملهوف ، دون إثقال كاهله بأكلاف القرض وتوابعه . وهذا صحيح ، ولكن التمييز بين القروض على أساس الاستهلاك والتثمير ، وإن كان صادرا عن نية حسنة ، يفتح علينا بابا من الجدل العقيم ، ويسلمنا إلى الوقوف عند قروض الاستغلال لنتأمل فى إمكان الوصول إلى (محلّل) يُبيح اقتضاء الفائدة عليها . . . هذا التمييز بين قرض الاستهلاك وقرض التجارة أو الصناعة ، يباعد بيننا وبين الحكمة الواحدة الشاملة التى من أجلها جاء الحكم الصريح القاطع بتحريم الربا ، فى إيجاز وفى حزم ، كقوله تعالى : « يمحق الله الربا ويُربى الصدقات » . . . هذه الصياغة الحاسمة ، الجامعة المانعة ، لا تسمح لمن اطمأن قلبه بالإسلام ، بأن يذهب فى التأويل إلى حد القول بأن التحريم إنما ينصرف إلى فائدة قرض الاستهلاك أو إلى الربا المضاعف ، أو إلى ربا الفضل ، وبالتالى يكون الرأى فيما عدا ذلك من أنواع القروض ، محلا للاجتهاد ، فى كل زمان بحسب ظروفه .



ولست فيما أذهب إليه من الرأى ، متشيعاً لمجرد وضوح الحكم ، وصياغته فى عبارة قاطعة . وإنما سبيلى إلى الدفاع عن هذا الرأى ، هى تحليل الوقائع وربط المقدمات بالنتائج .

الحاجة إلى قروض الاستهلاك :

أصحيح أن الأمة الإسلامية يجوز أن يتفشى فيها هذا البلاء المعروف بقروض الاستهلاك ؟ أصحيح أن الأمة الإسلامية ينبغى لها ما هى فيه من تفاوت أليم بين عامل

مكافح مكدود ، وبين ثراء فاحش عند طائفة من الناس ، أو مال وفير عند حاكم يتخذ من الحكم وسيلة إلى الإثراء ، فهو لا ينظر إلى أمور الناس وقد انتهت إليه ، على أنها أمانة يُسأل عنها ، بل ينظر إليها على أنها منافع ومغانم تؤول إليه مع حقه المقدس ، مذ كان الناس ينظرون إلى توارث الحكم على أنه حق إلهى مكفول لقلة مسلطة على رقاب الناس . . . ؟ ؟

هذه الأوضاع التى تفشّت فى الشعوب الإسلامية حتى عرفت الفقر والدَّين على نحو شامل ومخيف . . . وهذا الرضا الذليل ، بما أراده المستعمرون من شيوع أسباب الفساد والانحلال فى شعوبنا ، لم يكن ولن يكون من الإسلام فى شىء .

ومع ذلك لست أنكر بأن الأحداث قد تجرى بما يخرج عن طوق البشر ، فتنزل الحاجة المفاجئة بساحة الرجل ، ولا تترك له سبيلا إلا أن يقترض ، ولكن ليست هذه هى القاعدة العامة . فلنبدأ إذن بالأصول والقواعد .



أما علاج الحالات الفردية الطارئة فأمره أهون من أن يتدخل فى رسم السياسة العامة لقروض الاستهلاك ، إجازة أو تحريما . . . هذا إذا أردنا أن نصف الأمة الإسلامية بما يتفق مع ما أريد لها من عزة وكرامة . . .

حكمة الصوم فى الإسلام :

لقد نظرت طويلا فيما قال به الأولون والآخرون من منافع الصوم وحكمته ولم يقع لى بحث واحد يربط بين الصوم وتحريم الربا .

وعندى أن أكبر حكمة للصوم ، هى رياضة النفس على أن تعف وهى قادرة ، وتدريب الصائم على الحرمان من المتاع فى ساعات طويلة يشتد فيها إلحاح الجوع والعطش ، والزاد والماء بين يديه ، وما إلى الزاد والماء من متاع الدنيا متوافر لديه كذلك فيصرف النظر عامدا عن كل متاع ، وإن كان قريبا منه ، ميسرا له .

ومما يستوقف النظر حقا أن الصوم قد شرع للمسلمين فى شهر عربى يدور مع الفلك فإذا به طورا يجئ فى الحر القائظ وطورا يجئ فى البرد القارس ، حتى إنه فى ٣٣ عاما هجرية يمر تدريجا بالفصول الأربعة كلها . ومما يستوقف النظر أيضا أن

هذه الحقبة من الزمن وهى ٣٣ عاما تصل بسن الصبى المكلف إلى سن الرجولة الناضجة ؛ فالصائم الذى يتعود من سن مبكرة على الحرمان راضيا بما بين يديه ، ثم يألف هذا الحرمان فى أجواء شتى من عام هجرى إلى عام تال ، لا يكاد يتخطى الأربعين من عمره إلا وقد مرت به تجارب الحرمان من الطيبات ، واطمأنت إليها نفسه فلم يعد غريبا عليه أن يكف عن إشباع حاجته وهو قادر على ذلك .

فلننظر إذن إلى حكمة الصوم فى شهر رمضان ، صيفا وشتاء ، وللنظر فيما نحرمه على أنفسنا نزولا على أحكام هذا الشرع المتين .

يرضى الصائم بالجوع والظمأ ، ويباعد بينه وبين أهله تأدباً ، ولست أريد الدخول فى جدل يبيح أو يحرم التلطف إلى الزوجة وتقبيلها ، أو التطيب مثلا . بل أريد أن أفهم الصوم على أنه رياضة روحية عالية تُخضع الدوافع النفسية جميعاً إلى إرادة الصائم . وعندى أنه أقرب إلى الأدب مع الله ، والكمال فى الصوم أن يباعد المرء بين نفسه وبين كل طيبة ما دام صائماً حتى وإن لم يرد نص صريح قاطع .



ثم لننظر إلى هذه الدوافع النفسية (أو الغرائز) التى راضها الصائم وأخضعها لإرادته . . . نجد أنها أقوى الغرائز جميعاً ، قد راضها الصائم وتحكم — ولو بمقدار — فى فورتها وفى هدوئها ، وأحل العقل منها محل القيادة ، تملى فتطاع ، تفكر القوة العاقلة وتدبر ، ثم تأمر فتطيع الجوارح .

لست فيما أذهب إليه بمنكر أى شىء من الحكم العظيمة التى عكف على جمعها الباحثون وتوارثتها الأجيال فى شأن الصوم واختيار شهر عربى بذاته ، هو شهر رمضان ، ولكنى لا أرى أى تعارض بين هذه الإضافة التى أراها صحيحة وبين ما حفلت به المراجع من آثار علمية حسنة .

والآن ، أرى فى الصوم مرانا على زهادة مقصودة وموقوتة ، فى إشباع أشد الحاجات إلحاحاً على النفس البشرية .

وبالتالى يتعين القول بأن المسلم الصحيح العقيدة ، الذى يصوم ويفقه حكمة الصوم ، يقدر على أن يكف عن إشباع حاجته وإن كان قادراً على المتاع العاجل

الناجز ، فكيف يجوز عقلا أن نرى المسلم ضعيفاً متخاذلاً ، تستعبده أهواؤه وشهواته ، وتتهاوى إرادته من فرط ما انحلت ، فيمتد بصره إلى طيبة لا يملكها ، فيقترض ثمنها ليستمتع عاجلاً ، بمال لم يدخل فى حيازته ؟ كيف تستقيم المعانى وتتلاءم أجزاء الصورة الصادقة لتصرفات المسلم فى معاشه ، إذا قلنا بأنه صحيح العقيدة ناجح فى رياضته الروحية بالصوم . . . إذا قلنا بأنه قادر على ترك الشىء الذى يملكه ، وأن يعف عنه راضياً ، ثم قلنا فى نفس الوقت بأنه ضعيف متهالك ، تذهب نفسه شعاعاً وراء ما يملكه غيره ، فيلتزم بالقرض ، ويرضى بالدَّين ، ليشبع بعض حاجته بمال لا يملكه .

إذا قلنا بشىء من ذلك ، فإننا ننكر المنطق ونحاول أن نلائم بين مفردات متنافرة ، لنؤلف منها صورة متجانسة . وهيهات .



قروض الاستهلاك إذن ليست من الظواهر العامة فى حياة أمة مسلمة .

والعكس أقرب إلى المنطق السليم ، ذلك أن الأمة الإسلامية تتألف من رجال يصبرون على استهلاك ما بين أيديهم ، فهم إذن أجدر وأقدر على أن يصبروا عما لا يملكون . وإن صبرهم عن استهلاك ما عندهم يمهد للادخار ، والتثمير ، وإنماء الثروة وحيازة القوة المادية لتسخيرها فى صيانة المقدسات .

فإذا كان المسلمون قد غفلوا عن حكمة الصوم وظنوه جوعاً على مضض ، وإذا كان أحدهم يخرج من داره وهو صائم ، ليشترى بعض حاجته بالأجل أو بارتهان بعض أمواله الثابتة ، التى تعينه فى تجارته أو فى صناعته . . . فقد جهل المقترض ، وما قصرت الشريعة فى شىء .

أقول ، وأكرر القول بأن الحكمة من تحريم الربا فى كل صورة ، لقروض التثمير ولقروض الاستهلاك جميعاً ، ولأية صورة مستحدثة أو قد تستحدث ، تتصل بأصول ثابتة لا تزيد على كثرة الأخذ والرد إلا جلاء ووضوحاً .

هذا الحكم الذى جاء به القرآن العظيم من ثلاثة عشر قرناً أو تزيد ، قد كان صحيحاً دائماً ، وقد كان فيه صلاح الأمة التى تأخذ به ، لو أنها فعلت .

لقد كان تهافت الأفراد على إشباع حاجاتهم العاجلة ، وارتهانهم الثابت والمنقول لإرضاء نزوات تافهة عارضة ، سبباً مباشراً فى هيمنة المرابين على موارد الثروة ومنابع الأرزاق . . . غرق الحكام فى الديون والفوائد ، وتابعهم المحكومون فى هذا السفه ، فأثقلوا أعباءهم بما هو أشد وأقسى . فالمزارع مرتهنة ، والعقار كذلك من أجل متاع عاجل . والدائن يتخذ من دينه حجة وذريعة ، ليتحكم فى أموال المدين ، وحين يكون الشعب ، من قادته وساسته إلى جماهيره الساذجة ، قد وقع فى ديون شخصية ، وأقساط شهرية ، وتعوّد على مد البصر إلى ما لا يملك فى يومه فلمن تكون الغلبة فى الأرض ؟ للدائن أم للمدين ؟ ولمن يكون الحكم فى البلاد حتى وإن كانت محسوبة على الإسلام بالتوارث فى غير وعى ولا رشاد ؟

ليس عجيباً أن تكون الكلمة العليا فى عصرنا هذا ، فى كل بلدى عربى وإسلامى ، لمن لا يؤمن بالله ولا يقيم حدوده ، لأننا رضينا بالمقدمات ، فكيف تدهشنا النتائج ؟

قروض الاستهلاك إذن ، لا تتفشى فى أمة إسلامية ، وإنما تزدهر فى ظل أحكام الشريعة المدخرات الناشطة النامية .

وكل تيسير لقروض الاستهلاك ، يعتبر علاجاً للداء الاستعمارى بالمسكنات ، التى تخذر الأعصاب فلا تشعر بالألم . وعندى أن الإيلام هنا خير ، لأنه ينبه القوة العاقلة ، لعلها تدبر أمراً يقضى على أصل الداء .

(الحديث موصول)

السخاء

ليس السخاء بذل الأموال حيث اتفق ، لكن بذلها كما ينبغى ، وحيث ينبغى ، بالمقدار الذى ينبغى على سبيل الاعتدال اللائق بحال طبقة طبقة من الناس .

«أبو نصر الفارابى»

الغزالي مفكر جامع

للأستاذ الدكتور رضا زاده شفق

أستاذ الفلسفة بجامعة طهران والثقافة الإسلامية بجامعة كولومبيا بنيويورك

فى أواخر القرن الأول للهجرة (الثامن بعد الميلاد) قام دين الإسلام يفتح لأول مرة فى التاريخ أبواب مراكزه الفكرية كبغداد ودمشق للعلوم والمعرفة ، فلقد دأب المسلمون على تحصيل علوم الأقدمين وتراثهم ، ونُقلت فلسفة اليونان إلى العربية ، وبعد ذلك بقليل أُسست الجامعات كالنظامية فى بغداد التى أصبحت قدوة تحذو حذوها الجامعات الأوروبية . وقد كانت حرية الأبحاث والمناقشات فى الشؤون العلمية والدينية تلقى التشجيع والمؤازرة فى أوائل العصر العباسى ببغداد .



ويقول العلماء الغربيون أمثال دوبور ، وأرنولد ، وهورتن ، وبراون ، ونكلسون إن فلاسفة المسلمين وإن لم يضيفوا فكراً أصيلا إلى فلسفة الإغريق الذين سبقوهم ، إلا أنهم أدوا عملا جليلا يتمثل فى كونه أول محاولة لاستيعاب نتاج الفكر اليونانى « بمزيد من الشمول والحرية » — (دوبور) . (Comperhensiveness of freedom: De Boer)

وهناك ظاهرة أخرى تتسم بها الفلسفة الإسلامية أشار إليها أرنولد وغيره ألا وهى قدرتها على الانتقاء من العقائد الفلسفية المتنوعة . وتتوافر البراهين على أن الفيلسوف العظيم الفارابى حاول التوفيق بين أفلاطون وأرسطو مثلا ، كما أنه حاول الجمع بين الأفلاطونية ، والافلاطونية الجديدة .

أما فيما يتعلق بالتصوف فمن المؤكد أن الصوفية الإسلامية تتميز بطابع خاص وعلى الأخص كما تبدو فى الأدب الفارسى . ولقد أسفر مبدأ التلائم فى الفكر الإسلامى ، على الوجه الذى ذهب إليه الإمام الغزالى وغيره ، إلى نتائج قيمة فى تطور الفكر الإسلامى . وسأوضح ذلك بإيجاز فيما يتعلق بالغزالى :

لقد جابه الغزالى المذاهب الفكرية الرئيسية السائدة فى العالم الإسلامى فى زمنه —

أى القرن الحادى عشر — ودأب على دراسة كل منها دراسة دقيقة نفاذة . وقد توصل بما أوتى من نظرة محيطة ثاقبة إلى توفيق باهر بينها . وفيما يلى بعض نواحى ذلك التوفيق .

١ — كان الإمام الغزالى حجة فى « علم الكلام » وفى « علم الأصول » ، ولكنه لم يكن يؤمن بأن الجدل المنطق الحاذق فى أمر العقائد الدينية كافياً للهداية إلى الإيمان ؛ فالمجادلات النظرية المنطقية بالنسبة إليه إجراءات دفاعية غير مقنعة ، أما الدين فى نظره فكان أشمل من مجرد الجدل المنطق .

٢ — كان الإمام الغزالى يأخذ بسنن الأولين وجلة التابعين من أئمة المسلمين ، بيد أنه كان ينفر من التقليد الأعمى ويدعو كل من يسعى جاداً وراء الحقيقة إلى البحث المجرد المستقل ؛ فالمعرفة الحقيقية فى نظره لا تؤتى بمجرد المطالعة والدراسة أو الخضوع المستكين لأراء الآخرين . وحتى الفلسفة نفسها التى تقوم كلياً على النظرة العقلية فى الإنسان لأعجز من أن توفر لنا جواباً شافياً على مسائل الوجود الأساسية . فلا بد من تعاون بين التفكير المتعمق والتجارب الروحية والشهود لرفعنا إلى مرتبة الحقيقة . والواقع أن هذا النوع من المعرفة يشبه النور الذى يبعثه الله فى قلب من يشاء من طلاب الحقيقة المخلصين فى السعى وراءها ؛ والعلم نور يقذفه الله فى قلب من يشاء .



٣ — كان الإمام الغزالى ورعاً شديد الإيمان ضابط النفس ، يعارض الانغماس فى ملذات الحياة الدنيا إذا كانت إلى درجة الإفراط التى تلهى الإنسان عن الآخرة . ولكنه فى الوقت ذاته كان ينكر حياة التقشف ولا يرى أى تعارض بين مباهج هذه الحياة الدنيا (عالم الملك) والحياة الروحية (عالم الملكوت) فالحقيقة فى نظر الغزالى كامنة فى هذين العالمين ؛ بل لقد كان فى نظرته « المعرفة » يرى العالمين عالماً واحداً أحدهما مظهر خارجى للآخر ، كزجاجة شفافة امتلأت بخمر فلم يعد من الممكن التمييز بينهما :

رق الزجاج وراقت الخمر وتشابها فتشاكل الأمر
فكأنها خمر بلا قدح وكأنها قدح بلا خمر

٤ — كان الإمام الغزالى مع إيمانه التام بأوامر القرآن الكريم والسنة يؤيد الفتوى « بالقياس » و « الرأى » و « الإجماع » فى استنباط الأحكام الشرعية ، ويعتبر الأخذ بهذه الأدلة شرطاً أساسياً لتطور المجتمع الإسلامى تطوراً يساير حاجات الزمن .

٥ — هذه الجهود التوفيقية التى تبرز كل هذا البروز فى تعاليم الإمام الغزالى إن هى إلا ثمرة الحياة الروحية التى كانت تجيش فى نفسه ؛ فالدين بالنسبة للغزالى يتمثل فى تجارب الإنسان الروحية . إنه عبارة عن تقرب ومراقبة للخالق جل شأنه عن طريق الإلهام الوجدانى لا بواسطة الطقوس الدينية أو المجادلات المنطقية إثباتاً ونفياً ؛ فالعقيدة الدينية يجب أن ترتكز إلى الإيمان والإخلاص والصدق .



٦ — مثل هذا الوجدان الروحى الباطنى هو الذى يدفع إلى عمل الصالحات والخدمة النافعة المجردة : « الذين آمنوا وعملوا الصالحات » .

٧ — ولا حاجة إلى القول بأن الوعظ دون العمل الطيب لا معنى له . فما يدعو إلى الرثاء أمر أولئك الذين هم على بينة من تعاليم دينهم ويعظون غيرهم بها بيد أنهم يفتقرون إلى جذوة الإيمان الحقيقى التى تتألق فى ميدان العمل ؛ فمثل الذين يعظون ولا يعملون كمثل ملح فاسد أريد به درء التعفن .

يا معشر الوعاظ يا ملح البلد ما يُصلح الملح إذا الملح فسد

وختاماً يمكننا القول بأن هذا الإمام المسلم العظيم قد استطاع لا مجرد التوفيق بين المذاهب المتباينة فحسب ، وإنما أثبت بفضل إيمانه وسيرته وتعاليمه بأن الحياة الدينية تتمثل فى تجارب الإنسان الذاتية الروحية إلى جانب التضحية وعمل الطيبات وفق ما تستدعى حاجات الزمن .

أولى الناس بالله أشدهم تولّياً له

« أبو بكر الصديق »

إن لبدنك عليك حقاً

بإشراف الأميرلاى الدكتور أحمد الناقه

س ١ : طالب ثانوى يشكو قبل الامتحان الصداع والخمول والضعف والنسيان .

ج ١ : هذه علامات « رهبة الامتحان » لا ضعف البدن أو العقل . وهى دليل قلة الثقة بالنفس وقلة تحصيل الدرس . والعلاج اكتساب الثقة بالنفس بواسطة الرياضة والتدريب العسكرى والمثابرة على المذاكرة مع بعض الرفاق تثبيتاً للدرس . ولا حاجة لطب أو دواء .

***

س ٢ : دوسنتاريا مزمنة لم يفلح فيها دواء أو غذاء ولم تعالج بحقن الإمتين لضعف المريض .

ج ٢ : يجب إعادة الفحص الطبى لتحديد نوع الجراثيم أو الطفيليات المسببة للمرض ، ثم وصف الدواء المناسب حتى الإمتين إذا لزم ، فإن لم يسفر تكرار الفحص عن سبب اتجه البحث إلى اضطراب الغدد أو العوامل النفسية ؛ وإلاّ وجب دخول مستشفى كبير يتيسر فيه الفحص الكامل بالمنظار الشرجى والأبحاث الحاسمة للتشخيص والعلاج على أيدى المختصين .

***

س ٣ : عروس دمشقية يدور رأسها ويضطرب نفسها ويرتجف جسدها وتتوتر بعض عضلاتها منذ ليلة الزفاف كلما خلت إلى زوجها وبخاصة أول الليل . عولجت بالأدوية والتنويم المغناطيسى ونحوها فلم تستفد . وما زالت بكرا .

ج ٣ : يبدو أن العروس ضعيفة الأعصاب مرهفة الإحساس ، كبر فى خيالها الخوف من فضّ البكارة حتى أحدث تلك النوبات . ويبدو كذلك أن الزوج رجل خشن فيه غلظة تفزع الزوجة ، أو ضعيف لا يستطيع أن يملك زمام عواطفها ومشاعرها ، أو ساذج لا يحسن الملاعبة قبل المباشرة ، أو فيه عيب أو علة منفرة . ولا يجدى

الدواء ، ولكن يجدى العمل برأى الشيوخ من ذوى القربى والفضل والمعرفة وإرشادهم إلى حسن المعاشرة ولطف المباشرة .

ولو أن الوالدين والمعلمين تدرجوا بالحديث مع النشء فى أمور التناسل بصراحة وحسن تقدير لأقوى الغرائز وأقدسها لقضوا على ذلك الغموض المخيف والظلام الذى يخلق الأوهام ويحير الشباب ويرهقه ، ولجعلوا التناسل من أعظم النعم التى تسر النفس وتصون الجنس .

* * *

س ٤ : طالب علم من القدس أصابه مرض الصرع منذ سنين . ما العلاج وهل تفيد الصدمات الكهربية وهل يواصل الدرس ؟

ج ٤ : الصرع مرض عصبى مزمن يتحسن تدريجيا باستعمال الأدوية المهدئة والاعتدال فى المأكل والمشرب والمعيشة الراضية التى لا ترهق البدن ولا تقلق البال . وربما أفادت الصدمات الكهربية بعض المرضى . ويستطيع أن يستمر فى طلب العلم بغير إجهاد .

* * *

س ٥ : باسور ينزف عند التبرز . ما السبب وما العلاج بلا جراحة وما ضرر ترك العلاج ؟

ج ٥ : السبب الإمساك . وعلاجه : ما نيزيا . برافين ونحوها . وقد تنفع الحقن الموضعية فى علاج بعض أنواع الباسور . ولكن إذا تكرر التشقق والنزف لزمت الجراحة . وترك العلاج قد يسبب النزف المتكرر والضعف العام والالتهاب والتقيح والناسور . وكلما طال الإهمال صعب العلاج حتى بالجراحة .

* * *

س ٦ : عين لم تصب بمرض ، وترى الأشياء البعيدة والقريبة ولكنها لا تميز الحروف .

ج ٦ : فحص العين واستعمال النظارة المناسبة يكفل تمييز الحروف .

* * *

س ٧ : رضيع يتبرز مرة كل أسبوع برازاً قليلا طرياً وهو مع ذلك بادى الصحة فهل يعالج بالمسهلات ؟

ج ٧ : لعل لبن الأم لا يترك فى الأمعاء من الفضلات ما يكفى لتكوين براز يومى ، فإذا زيد الطعام بمرق اللحم والخضر فقد يزيد البراز بغير حاجة إلى المسهلات التى لا تخلو من الأذى .

* * *

س ٨ : هل من دواء للشيب المبكر ؟ غذاء أو فيتامين أو خلاصة الغدد أو أشعة أو كهرباء .

ج ٨ : لا ينفع شئ من هذا . وفى الصبغة المناسبة ما يستر الشيب لمن أراد .

* * *

س ٩ : هل تضر مخالطة الكلاب والقطط والأرانب والدجاج والحيوانات الأخرى ؟

ج ٩ : نعم إلا إذا كانت محل فحص وتحليل ورعاية بيطرية دائمة ، وهو أمر ما زال بعيد المنال فى بلاد يفتقر أهلها إلى الرعاية الطبية . وهذه بعض أوجه الضرر : جرثومة الدرن فى بصاق الكلب وجراثيم أخرى فى بوله تضر الكبد والدم ، وطفيليات فى برازها تصيب الأمعاء وفطريات تصيب الجلد وحشرة الجرب . هذا فضلا عن جراثيم أخرى قد تسبب أمراضاً وحميات شتى . ولعل ذلك هو سر نجاسة هذه الحيوانات عند البعض .



* * *

س ١٠ : ما هو التطعيم الواقى اللازم لمن ينوى الحج أو السفر إلى خارج البلاد .

ج ١٠ : طعم التيفود والكوليرا والجدرى لمن أراد الحج . ثم الحمى الصفراء لمن شاء أن يمر بالسودان ووسط أفريقيا وأمريكا الجنوبية .

* * *

س ١١ : ممرضة تعنى بمريضة مصابة بشلل الأطفال هل يخشى عليها وعلى مخالطيها من العدوى ؟ .

ج ١١ : نسبة المرض فى المشتغلين بمهنة الطب والتمريض أقل منها بقية فى الناس ، ولم يعرف أنهم نقلوا المرض إلى أهلهم ومخالطيهم .

* * *

س ١٢ : صبى مصاب بالتهاب الجلد المزمن لم يفلح فيه دواء . هل من علاج حديث ؟

ج ١٢ : لعل الصبى ذو طبيعة ونفس حساسة من أثر الوراثة والبيئة . وقد

تضره بعض الأطعمة ، وقد يكون الجلد كثير الحساسية إذا تعرض لعوامل الجو وتغير الحرارة والملبس الخشن والماء والصابون وغير ذلك مما يلهب الجلد الحساس . وعلى ضوء هذه العوامل يجب العلاج بالحزم والنظام الدقيق والمهدئات العامة والمسكنات الجلدية بإشراف الطبيب المختص .

***

س ١٣ : هل صحيح ما يقال عن شدة تعرض الإنسان فترة من الوقت للعدوى بعد التطعيم الواقي من التيفود مباشرة . وهل الوقاية تامة ؟

ج ١٣ : لم يثبت ذلك . والتطعيم لا يقي وقاية تامة ؛ فلا بد من اتباع قواعد الصحة والنظافة رغم التطعيم .

***

س ١٤ : فتى تظهر على ساقيه بقع حمراء مؤلمة . ما هي ؟ وما العلاج ؟

ج ١٤ : قد تكون من علامات التدرن فيجب الفحص الطبي . وقد تكون من أثر جراثيم صديدية إذا كان سبقها التهاب الحلق قبل أسبوع أو يزيد . وهنا يفيد البنسلين .

***

س ١٥ : فشا استعمال نظارات الشمس فهل هي مفيدة للنظر ؟

ج ١٥ : خير للعين المجردة أن تعتاد الضوء إلا إذا كان شديداً جداً عند البحر وفي الصحراء وفوق الجبال أو في مواجهة الشمس مدة طويلة فيحسن استعمالها .

***

س ١٦ : إمساك مزمن استعصى على جميع المسهلات فما السبب وما العلاج ؟

ج ١٦ : أكثره ناتج من ضعف الشرج عن قذف محتوياته بسبب سوء استعمال المسهلات وكثرتها . وإذن فيجب إبطال المسهلات تدريجيا وتناول طعام كثير الألياف والسوائل . ويجب التبرز على مهل في أوقات معلومة كل يوم حتى تنتظم الأمعاء ، وقد يعين على ذلك قليل من سائل البرافين ثلاث مرات يوميا ، وهذا علاج طويل الأمد يحتاج إلى الصبر والمثابرة . فإن لم يفد لزم استعمال المسهلات . والأملاح أقلها ضررا لأنها تستبقي السوائل في الأمعاء دون أن تلهبها . ويحسن أن تؤخذ الأملاح بمقادير صغيره : ملعقة مانزيا من ٣ — ٤ مرات يوميا مثلا . أما المسهلات الأخرى فيمكن استعمالها عند الضرورة إذا احتملتها الأمعاء .

باب الكتب: نقد وتعريف *

١ – آدم عليه السلام ، للأستاذ البهى الخولى ، مطبعة دار الكتاب العربى عام ١٩٥٢ ، ١٤٠ ص م

٢ – محمد رسول الإسلام ، للأستاذ عبد السميع المصرى ، مكتبة النهضة عام ١٩٥٣ ، ١٣٩ ص م

١ – آدم عليه السلام



من الخير أن يتذكر الإنسان دائماً أصله الذى انحدر منه ، وهو سيدنا آدم أبو البشر ، ففى هذا تذكير له أيضاً بالبشرية عامة : فى أصلها ، وتكوينها ، والغاية التى خُلِق الإنسان من أجلها . ولعل ذلك هو الغرض الذى هدف إليه صديقنا الفاضل مؤلف هذا الكتاب ، فقد أشار إليه فى ص ٧ ، ٩ بوضوح .

وقصة خلق آدم ، كما وردت فى التوراة والقرآن ، كانت ولا تزال محل اختلاف العلماء والمفسرين ، وذلك لما اشتملت عليه صراحة من خلقه من طين ، ونفخ الله فيه من روحه ، ومحاورة الملائكة لله جل وعلا حين اختاره خليفة فى هذا العالم المحسوس وأمرهم بالسجود له . فمن المفسرين من المسلمين وغير المسلمين من قبل ، من جنح إلى تأويل ذلك كله ليتفق مع العقل والعلم كما يزعمون ، ومنهم من أجراه على ظاهره لعدم الضرورة إلى التأويل . وقد اختار الأستاذ بحق أن يكون من هذا الفريق ، وصرح بذلك فى أكثر من موضع ، إذ يقول فى صفحة ١١٢ مثلا :

« ولقد قضى بعض الناس دهرا يتأرجحون بين الشك فى ذلك واليقين به ، ويميلون إلى تأويل تلك النصوص القرآنية تأويلا لا ضرورة له ؛ إذ التأويل إنما

(*) نشير هنا إلى أن الأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى هو صاحب التعريف والنقد للكتب الثلاثة التى عرض لها فى العدد الماضى بتاريخ ذى الحجة سنة ١٣٧٢ .

يكون ضروريا حينما يتعارض النص مع حقيقة علمية ثابتة لا يتطرق الشك إلى صحتها بحال من الأحوال ، فإذا لم يكن هناك تعارض فمن الإثم أن نصرف الكلام عن مواضعه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله » .

وإذا كانت هذه القصة هى قصة تكوين البشرية وغايتها ، واختيار آدم عليه السلام للخلافة فى هذا العالم الأرضى مع وجود غيره من الجن والملائكة ، فقد أدار الكاتب الكلام على ثلاثة أبواب يسبقها تمهيد وتنتهى بخاتمة ، وعالج فيها جميعها مسائل عدة تدخل فى الدين والفلسفة والاجتماع ، وأعانه على ذلك كله ذهن لماح وعقل نافذ وطول مدارسة وتعمق للقرآن العظيم .

فهو يبحث عن نشأة الحياة فى الأرض التى استخلف الله تعالى آدم فيها ، وعن خلق آدم من الطين ، وهذا يدفعه إلى القول بأن العناصر التى تتكون منها قبضة من الطين هى نفسها التى تتكون منها بضعة من جسم الإنسان (ص ١٥ — ١٦) وإن كنت أنا لا أدرى مبلغ الحق علميا فى هذا القول ! كما يحاول بيان المراد من قوله تعالى : « ونفخت فيه من روحى » (ص ١٧ — ١٩) ، ويقرر « أن تلك الروح تحيا فى كيان الإنسان كائنا روحيا له حياة تخالف طبيعة حياة البدن » (ص ٣٧) ، وكنا نود أن يقول مع سائر العلماء بأن الإنسان مركب من روح وجسم ولكل منهما خصائصه ، بدل هذا التعبير الذى قد يوهم التثليث فى الإنسان !

واختيار آدم للخلافة من بين مخلوقات الله ، اقتضى المؤلف أن يبحث فى الخصائص التى استحق من أجلها هذا الاختيار ، كما اقتضاه الكلام عن الكائنات الروحانية : الملائكة والجن ، وعن الملأ الأعلى بصفة عامة ؛ وعن مفاتيح الآفاق العلا ، بل عن مفتاحها الأوحد وهو تقوى الله تعالى التى هى مفتاح أرزاق السماء (ص ٤٨ — ٥٧) ، وهنا لا يغفل بيان أن التقوى باعتبارها مفتاح آلاء الله ونعمه لا تنافى وجوب الأخذ بالأسباب (ص ٥١ — ٥٣) .

فإذا قدر الله تعالى أن يأكل آدم من الشجرة ، وأن يهبط من السماء إلى الأرض ، نرى صديقنا الأستاذ الكاتب يعقد الباب الثالث ليتكلم على أفق الغرائز ، أو على العالم البشرى الذى انحط إليه أبو البشر ، وهنا يتكلم عن الطائفة الهامة من الغرائز

البشرية : غريزة الزوج ، وغريزة حب الخلود ، وغريزة الملك ، وغريزة التدين (ص ١١٦ - ١٢٦) ، وهى كما يقول : « غرائز أربع كبار يتفرع منها سائر ما يعرف للإنسان من غرائز فرعية وميول أخر ، ومن مجموعها يتألف ما نسميه جهاز الغرائز فى الإنسان » .

وبعد أن تحدث عن دوران هذه الغرائز بين الفتنة والرشاد (ص ١٢٨ ومابعدها) أنهى الكتاب بخاتمته الطبيعية وهى ما كان من آدم وقد قُضى عليه بالنزول إلى الأرض فعلا ، الأرض التى صارت له المأوى الجديد والمقام العتيد بعد أن فقد تجانسه مع الجنة . . .

وبعد ! فهذا كتاب قيم نشر معظم فصوله بمجلة « المسلمون » الغراء ، ولا ريب أن القراء سيجدون فيه مجموعا ومزيدا بفصول أخرى متمة روحية ، وحقائق دينية وعلمية هم فى حاجة شديدة إليها ، كما سيرون فيه خواطر نيرة ومنهجا يحتذى فى تفسير القرآن ولا سيما قصصه ، ولذلك نرجو أن يتاح للسيد الأستاذ أن يتم له ما اعتزمه من مواصلة الكتابة فى القصص القرآنى .





* * *

٢ - محمد رسول الإسلام [١]

Mohammad The prophet of Islam

هذه ظاهرة لها دلالتها وتستحق التسجيل والنظر ، وهى صدور مؤلفات تختص بالرسول عليه السلام باللغات الأجنبية ، ذلك أن المسلمين الذين يتكلمون العربية ، ويقيمون صلاتهم بقراءة ما تيسر من القرآن ، يعرفون سيرة نبيهم عليه السلام لأنها جزء من معرفتهم لدينهم ، ولكن التأليف بلغة أجنبية عن سيرة الرسول ، إنما الغرض منه قبل كل شيء أن يتوجه إلى غير المسلمين بتعريف يحيطون منه بحياة الرسول الذى اختاره الله تعالى نبياً وهادياً للناس إلى دين الحق .

---

(١) تفضل بهذه الكلمة صديقى الأستاذ الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى ، لأن الكتاب بالإنجليزية وأنا لا أعرفها - موسى .

وقد ألف المستشرقون فى القرن الماضى ، وقبل ذلك ، كتباً كثيرة تتعلق بالإسلام والقرآن والرسول ، ولكنها لم تكن تخلو من الهوى والتعصب المذموم ، فرموا الإسلام والمسلمين بمطاعن شتى هم منها براء . وهذا يرجع إما إلى الجهل ، وإما إلى سوء القصد . وانبرى كثير من جلة المسلمين للرد عليهم فى ذلك الحين .

ومن الخير أن نجد المسلمين أنفسهم ينهضون بعبء تعريف الأجانب حقيقة الإسلام ، فهم به أدرى . وهذا ما اضطلع به الأستاذ عبد السميع المصرى الذى درس فى كمبردج حيث ألف هذه الرسالة اللطيفة ، دوّن فيها سيرة الرسول عليه السلام ، فى لغة إنجليزية سهلة ، وأجرى فيها السيرة كأنها قصة تستهوى القارىء وتشوقه إلى متابعتها . هذا مع عدم إغفال الدقة التاريخية ، إلى سمو الفكر ، وتصوير السيرة فى صورة عصرية تلائم التأليف الغربى الحديث .

ولسنا فى حاجة إلى بيان الفصول التى كتبها ، لأنها معروفة لكل مسلم ؛ فهو يبدأ بمولده عليه السلام ، وطفولته ، ثم كيف أصبح يتيما وكفله عمه ، ثم زواجه من السيدة خديجة وأثر هذا الزواج فى نفسه . ويقف الأستاذ المؤلف طويلا عند نزول الوحى ، وبعثته عليه السلام ، وما لقيه من قومه فى مكة إلى أن هاجر إلى المدينة وحياته بها . ثم يتحدث عن الغزوات المختلفة حتى يبلغ فتح مكة . ويخلص من هذا كله إلى الكلام عن حجة الوداع وعن وفاته عليه السلام .

ونحن إذ نهنىء المؤلف بهذه الرسالة الطيبة نرجو له التوفيق فيما أراد .

محمد يوسف موسى

ندوتنا والقطر المسلم

ضاق العدد عن بابى « ندوتنا » و « القطر المسلم » الذى تعودنا أن نعرضه فى كل عدد ، فمعذرة ، وإلى الأعداد القادمة إن شاء الله .

التحرير

مع العارفين

عون بن عبد الله

(٢)

إن سألت عن نسبه فهو عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلى .

وعتبة بن مسعود هذا صحابى جليل ، أسلم قديماً ، وهاجر إلى الحبشة ، وأقام بها دهراً حتى قدم منها على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع جعفر بن أبى طالب . وشهد غزوة أحد ومابعدها .. وهو أخو عبدالله بن مسعود ـ رضى الله عنه لأبويه ـ .. قال الزهرى : ما كان عبد الله بن مسعود بأقدم هجرة من أخيه عتبة ، ولكن عتبة مات قبله . . . وقال الطبرانى : لما مات عتبة بن مسعود بكى عليه أخوه عبد الله ؛ فقيل له : أتبكى ؟ . . قال : نعم . . أخى فى النسب ، وصاحبى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأحب الناس إلى . . ذلك هو نسب عون بن عبد الله بن عتبة ؛ ولكن الذى يعنينا من عون رضى الله عنه ، نسب آخر غير هذا النسب ، هو نسبه إلى الإسلام وصلته بالله سبحانه . . أو هو شخصيته الروحية التى لا تمت إلى أنساب اللحم والدم بصلة . . . وقد وضع عون مفتاح تلك الشخصية بين أيدينا إذ قال : إن لكل رجل سيداً من عمله ، وإن سيد عملى ذكر الله عز وجل .

فإذا فسرت السيادة فى هذه الكلمة بأن أعمال كل رجل تتفاوت فيما بين بعضها وبعض بحسب قيمة كل منها من الفضل والإحسان ، حتى ينتهى التفاوت والتفاضل إلى عمل رفيع منها ، يبدو بين سائر إخوانه كأنه القمة العليا بين ما حولها من القمم — كان معنى هذا أن أحسن أعمال عون وأجلها شرفاً ورفعة هو ذكره لله عز وجل . .

وإذا فسرت تلك السيادة بأن المرء قد يعتاد ألواناً من أعمال البر ، فيألفها . . ويحبها . . ويعمل بوحيها . . حتى تصير آمرة على وجدانه ، مهيمنة على سلوكه . .

وقد تتفاوت تلك الألوان من حيث الهيمنة بحسب ما لكل منها من تجاوب فى النفس، وملاءمة للطبع، حتى ينتهى التفاوت إلى استئثار لون منها بأوفر حظ من السيادة والسلطان على هوى صاحبه وإرادته — كان معنى هذا أن ذكر الله سبحانه قام من نفس عون بن عبد الله مقام الأمير أو مقام السيد الآمر الذى يهيمن على كل تصرفه ومشيئته فلا يستطيع له خلافا.

وأيًّا كان المعنى فإن قول عون بن عبد الله: « إن لكل رجل سيداً من عمله، وإن سيد عملى ذكر الله عز وجل » يدل على صدق تقديره للذكر، وقوة تمكنه من نفسه، ودوام ملازمته له فى كل حال.

***



ومن الذكر ما يكون بتحريك اللسان والشفتين بأسمائه الحسنى سبحانه.

ومنه ما تنبعث إليه خوالج النفس كلما رأى الإنسان آية من صنع ربه، أو شبه نفحة من فواضل كرمه؛ فكل آية وكل نعمة لها مع نفسه المرهفة حديث يذكرها الله، كما يذكر الصانع بصنعه، وكما يذكر صاحب الآثار الجميلة عند رؤية أثر من آثاره.

أما الذكر عند عون بن عبد الله فهو حضور نور الله فى قلبه على الدوام، كأنه لازمة من لوازم طبعه، أو ضرورة أصيلة لا تستغنى عنها النفس... فهو يرى الأشياء بهذا النور الحاضر معه، ولا يرى النور بهذه الأشياء!.. وما أبعد الفرق بين المنزلتين!..

ما أبعد الفرق بين قلب تنبهه الأشياء إلى الله، وقلب دائم التنبه إليه بدون حاجة إلى واسطة، فهو لا يذكر الصانع بصنعه، ولا الخالق بخلقه، ولا يذكره سبحانه بأى سبب طارئ، لأنه حاضر فى ضميره لا يغيب، ماثل فى سره لا يتحول!

وإذا قلنا إن عون بن عبد الله كان يرى الأشياء بهذا النور، فليس مرادنا أنه كان يرى مادتها وأحجامها على النحو الذى نعهده حين يرى الإنسان أشياء كانت خافية عنه، بل نريد لونا آخر من الرؤية.

نريد أن كل شىء مما نراه حولنا مؤلف من مادة ظاهرة ملموسة، وحقيقة روحية خافية لا سبيل للحس إليها.

وسبيل رؤية المادة الظاهرة هو نور العين العادية.

وسبيل رؤية الحقيقة الباطنة هو نور الله فى قلوب الذاكرين .

فإذا نظر هذا الذاكر المتاز إلى شىء ما ، أبصره بنور عينه ونور قلبه ؛ وأبصر مادته الظاهرة وحقيقته الباطنة . . وبدت له المادة الظاهرة إلى جنب الحقيقية الباطنة كالعدم إلى جنب الوجود .. وكالموت إلى جنب الحياة ..

ونقول كالعدم إلى جنب الوجود ، لأن الذى لا ينظر من الشىء إلا إلى مادته الظاهرة يكون فى الحقيقة قد رأى لا شىء ! . أليست الأشياء لا توجد إلا إذا وهب لها الله سرا من أمره . فهى بدون هذا السر عدم ، وهى به حقيقة ذات وجود ؟! . . فلكل شىء صفحتان : صفحة العدم الذى لا وجود له ، وصفحة الأمر الذى يقوم بسره كل شىء . . . فإذا رأى المرء صفحة الحق فى أى شىء ، فقد رأى منه كل شىء ، وإذا لم ير إلا صفحته الظاهرة فقد رأى صفحة العدم الذى لا يهب شيئا ! !



ونقول تبدو هذه المادة الظاهرة إلى جنب الحقيقة الباطنة كما يبدو الموت إلى جنب الحياة . . . فإذا اقتصر المرء على رؤية الجانب المادى فهو يعيش بين أطلال الموت الكالح الخرب ، وإذا رأى جانب الحياة ، فكل شىء حوله حى سعيد .

وإذا عاش الإنسان فى عالم الموت بين أطلاله الخربة ، فلسنا نعنى أنه يعيش بين مقابر الموتى ، أو بين أطلال مدينة خربة مهجورة ، بل نعنى أنه يعيش مكتفيا برؤية الناحية الخرساء فى الأشياء ، محجوبا عما وراء ذلك من أسرار الحياة . . !

وما قيمة الحياة التى حجب عنها ؟ !

أنها ليست حياة النمو للأعضاء ولا حياة الحركات للأبدان . . . بل حياة من لون لا يخطر على البال ، ولا يستطيع الذهن أن يصل إلى كنه ما هى عليه . . . لأنها من أمر الله الذى استأثر سبحانه بعلمه . .

إنها حياة تحل فى الكائن لا ليتحرك ولا لينمو ، بل ليحل فيه الخير والبركة والرحمة والطهر والجمال والنعيم ، فالجانب الحى فيه هو هذا الجانب الميمون ، والجانب المادى المحض ليس له بذاته شىء من سر هذه الصفات ، فإذا حجب الإنسان بهذا الجانب عما وراءه ، فقد حجب عن الخير ، والبركة ، والرحمة ، والطهر ، والجمال ، والنعيم ؛ ومشى بين شخوص المادة المظلمة فى عالم لا خير فيه ولا رحمة ، وماذا بعد الخير والرحمة إلا الشر والجحيم ، وما إلى ذلك من ألوان عذاب الله ؟ !

فإذا كان للذاكر نور فى بصيرته امحت ظلمات ذلك الشر من أمامه، وأبصر الخير والجمال والرحمة تفيض من كل ما حوله؛ وفى هذا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: « الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها، إلا ذكر الله وما والاه، ومعلم أو متعلم ».

هذا النوع الرفيع من الذكر هو الذى كان يضىء فى قلب عون بن عبد الله، وهو الذى كان يبصر به الأشياء فيرى مادتها ويرى حقائقها معا، وبضوء هذا الذكر يقول: « إذا أتى على الناس ساعة لا يذكرون فيها الله عز وجل لهلك من فى الأرض جميعاً » .. والهلاك فى هذا المقام ليس هلاك الأبدان، وانقضاء حياتها على هذه الأرض، بل هو الهلاك الروحى الذى يحل بالمرء حين يُحجب عن سر ما فى الكون من رحمة وبركة ونعيم، وتنقطع به الشقوة إلى ظلام الآبالسة وجحيم الاكتفاء بلذائذ الحس المادى المحض ...



وقرأنا فى بعض أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ذاكر الله فى الغافلين، كالعود الأخضر فى الهشيم، وتفسيره واضح على ما قدمنا ... والذاكر فوق هذا قد يعود على من حوله من الغافلين بشىء من الخير الذى حجبوا عنه، ويدفع عنهم بعض ما يزحف عليهم من البلاء والويل؛ وفى هذا المعنى يقول عون رضى الله عنه: « ذاكر الله فى الغافلين، كالمقاتل عن الفارين، والغافل فى الذاكرين كالفار فى المقاتلين » ...

ويصفو طبعه، ويرق حجابه، وتشف الكائنات أمام بصيرته، حتى يبدو الجماد له حقيقةً حية، تسمع، وتبصر وتتكلم ... تسمع ما حولها من خير وشر؛ وتبصر ما هنالك من حق وباطل؛ وتردد أثر ما ترى وما تسمع كلاما يسرى فى ضمير الوجود دون أن تسمعه أذن أحد من البشر ... يقول عون فى هذا: إن الجبل لينادى الجبل باسمه: يا فلان، هل مر بك اليوم ذاكر لله عز وجل؟ فيقول: نعم .. فيستبشر به ..

والقرآن الكريم، وهو جامع الحقائق الدقيقة التى تحيط بنا، قد قرر للجماد هذا الذى نذكره ويذكره عون بن عبد الله، فى مثل قوله سبحانه: « تكاد السموات يتفطرن منه، وتنشق الأرض، وتخر الجبال هدًّا أن دعوا للرحمن ولدا » فالجبال تكاد تخر هدًّا من هول ماتسمع من إفك أهل الضلال حين يقولون: اتخذ الرحمن ولدا.

ويعقب عون على كلامه السابق عن الجبال بقوله : إنهن للخير أسمع ، ويتلو قول الله تعالى : « تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض . . . الآية » ويقول : أفيسمعن منا الزور والباطل ولا يسمعن ما هو حق ؟ ! .

فالجبل جماد فى رأى العين ، ولكنه فى رأى البصيرة الكاشفة حقيقة روحية حية ، تحس من أسرار الوجود ما لا تحسه المدارك العادية ، وتتجاوب مع حقائقه الأصيلة بما لا يدركه الغافلون . . . وحين يسمو المرء فى منازل الذكر إلى هذا الأفق العالى يبدو له الكون كله حقائق حية سعيدة قائمة بنور الله ، شادية بذكره جل شأنه ، مترنمة بقداسته ، خاشعة لجلاله ، فى وحدة نورانية متسقة ، تنتظمها جميعاً فى سر قوله سبحانه : « وإن من شىء إلا يسبح بحمده ، ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا » .

وهذا كله فضل حضور نور الله فى القلب ، وهو من تفسير ما قلناه فيما مضى أن عونا رضى الله عنه كان يرى الكون بنور الله ، ولا يرى نور الله عن طريق الكون . وإن هذه الرؤية ، هى رؤية الحقيقة الحية والسر الخفى لا رؤية الصفحة الجامدة والمادة العجماء . . .

وحين يشرف عون على الكون من أفقه هذا الرفيع ، لا يرى الكائنات الحسية فحسب ، بل يرى الحسية والمعنوية جميعا ؛ الروحية والمادية معا ، واستمع إلى حديثه عما يرى من نفحات الله المرسلة فى ضمير الوجود وهى سر يحمل السعادة والجمال لكل ذى بصيرة ، غير متعلق بجبل أو مشجب : الخير من الله كثير ، ولكن لا يبصره من الناس إلا اليسير . . وهو للناس من الله معروض ، ولكن لا يبصره من الناس من لا ينظر إليه ! . ولا يجده من لا يبتغيه ، ولا يستوجبه من لا يعلم به . . ألم تروا إلى كثرة نجوم السماء فإنه لا يهتدى بها إلا العلماء ؟ !

وليس فى هذا الكلام غلو أو مجاوزة للمعلوم من أسرار الكون ؛ فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن لربكم فى أيام دهركم نفحات .. ألا فتعرضوا لها ...» فكلام عون على هذا إنما هو تعبير عن مشاهدة قلبية رأى فيها بنور الله ذلك السر عين اليقين ، وهو فضل الله سبحانه يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم . .

العودة

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

[فى طريقى إلى النور ذرفت هذه الدموع . .]

رَبِّ إنى لكَ عُدتُ مِنْ سَرابٍ فيه تِهتُ . .
وعَلَى وَجْهِى شَظاياَ نَدَمٍ فيه انتهَيتْ
وكُهوفٌ مِن خَطاياَ تحتَها نارٌ وصَمْتُ
وطُيورٌ ذَرَفَتْ سِرِّى وَطارَتْ حيْثُ طِرْتُ
وتلاشَتْ فى زواياَ خَلَدِى أنَّى سَرَيْتُ
فإذا أبكِى أراها أدْمُعاً مما بكيْتُ
وإذا أشكو أراها كلَّ ما منه اشتكيْتُ
وإذا أهربُ كانتْ كلَّ دربٍ قد سلَكْتُ
وإذا أَغْفو أراها كلَّ حُلْم قد رأيْتُ
وإذا أفزَعُ للأَوْهام كانتْ ما وهِمتُ
وإذا غنَّيْتُها النِّسْيانَ غنتْ ما ذَكَرْتُ
ومحَتْ ذاتى وعادتْ لى بما كُنْتُ دفنتُ
ربِّ جنِّبنى صَداها فهْىَ أعْدَى مَن عَرفْتُ
هِىَ نفْسِى ، وهْى شيطانى الَّذى منه هربْتُ
سَكَنَتْ فىَّ ، وفى صحرائها الكُبْرَى سَكنْت
وعَلَى مِصْباحها المَخْنُوقِ فى السَّفْح أقَمْتُ
وكما شاءتْ عَلَى الأَدْغالِ والرِّيحِ ارْتَمَيْتُ

وكما ينطلق الإعصار في اللّيـل انطلقتُ
وتسلَّلتُ الفِجاجَ السُّـودَ فيهِ ومضيتُ
زاهباً ضلّتْ مُسُوحِي في هُداها وضللتُ
وَيْحَ عُمْرِي .. ما الّذي كُنْـتُ عَلَى الرَّمْلِ كَتَبْتُ
قصَّةً مَا زال حَوْلِيْ كلُّ ما فيها رَوَيْتُ
الْأَسَى ، والإثمُ ، والعِصْـيانُ ، هذا ما حَمَلتُ ..
فإذا التَّوْبَةُ أَلقتْ رَحْلَها عِندي رَحَلتُ
وإذا الأَوْزَارُ حَطّتْ حَطّاً قلبي وَانتشيتُ
وإذا ركْبُ الْخَطايا لاحَ لِلعَيْنِ هفوتُ
وكما ينتفِضُ الطّـا ئِرُ للفجر انتفضْتُ
وتَلفّعْـتُ بسِرِّي في الدَّياجي وانسللتُ
مثلما ينسَلُّ مني خاطِرٌ منه بَرِمْتُ !
هذه قصةُ بُسْتا نٍ به كُنْتُ عَبرْتُ
حاطِباً أجمعُ ناراً وأسًى فيما جَمَعْـتُ
ليس لي فأسٌ ، ولا غرْ سٌ ، ولـكِنِّي احتَطَبْتُ ..
مِنْ ربيعٍ ليس لي فيـهِ سوَى أنِّي وُجِدْتُ
وَرحيق كلُّ ما أعْـلَمُ .. أَنِّي قد شرِبْتُ
وعبيرٍ كلُّ ما أَدْرِيهِ أنِّي قد شَمَمْتُ
وثِمـارٍ كُلُّ وَعْيِي أنَّنِي مِنْها قَطَفْتُ
وغصونٍ ظلُّها يَجهَـلُ عَنِّي ما جهلْتُ
بعثرتْ سِرِّي وعَادتْ وهْي للإيمان نَبْتُ
جلَّ ربِّي . . كلُّ هذا ما الّذي كنتُ ارتـكَبْتُ ! ؟
أذنوبٌ أم دروبٌ في مَهاويـها جُرِفْتُ

أنا كذَّابٌ ، ولكنْ كل ما قلتُ صَدقْتُ !
نقَلتْ نفسيَ عن نفْسِي الذى كنتُ ادَّعَيْتُ
فهْو زُورٌ ، وهْوَ حَقٌّ وهْو سِرٌّ فيه حِرْتُ
أنا نَفْسى ذلكَ الإثْمُ الذى مِنْه هَرِبْتُ
أنا نفْسى ذلك الزُّو رُ الذى مِنْه جَزِعْتُ
كلُّ ما أشكوهُ منها ذنبه ، مهْما بَرِئْتُ !
عذَّبتْنى بخطاها وهَواها فاسْتجرْتُ
وإلىَ قُدْسٍ عَلِيٍّ من ضفافِ النورِ طرتُ
بعدما جردْتُ ذاتى وعن النَّفس انفصلْتُ
وإلى الله بنَوْحى وعَذاباتى اتجهتْ
وشببْتُ الجسمَ ناراً وهشيماً واشتعلتُ
ربِّ من بُقْيَا رمادِي وحصادِي لَكَ جِئْتُ
رَبِّ غفرانكَ إنى فى ظلامى قد وُئِدتُ !

فى أفق العالم الإسلامى

* مؤتمر الثقافة الإسلامية بأمريكا
* فلسطين
* أندونيسيا
* باكستان

مؤتمر الثقافة (الإسلامية) فى أمريكا :

انعقد المؤتمر الذى دعت إليه جامعة برنستون ومكتبة الكونجرس خلال إجازة « المسلمون » وحضره قرابة من ثلاثين عالما مسلما ، قليل منهم يمكن أن يعدوا علماء فى الإسلام ، وأكثرهم علماء فى فنون مختلفة جمعتهم الدعوة التى وجهها الأستاذ الدكتور « دودج » مديرجامعة برنستون ، وحضر مع هذا العدد مثله تقريباً من كبار العلماء الأمريكيين المهتمين بالإسلام وشئون العالم الإسلامى ومن بينهم عدد من ممثلى شركة البترول الأمريكية ، ورجلان منشركة البترول الإنجليزية !

وقد أتيح لنا أن نحضر جلسات هذا المؤتمر . وقصة حضورنا له قصة طريفة ، من حق أسرة « المسلمون » أن تعرفها ... فإن اهتمامنا بالمؤتمر الأمريكى بدأ من يوم سمعنا عنه ، وأخذنا منذئذ نتتبع نشاط القائمين به ، وحاولنا أن نحصل على مطبوعات تفسر أهدافه وبرنامجه ، حتى إذا كنت فى كراشى فى زيارتى الأخيرة للباكستان ، دعيت لحضور محاضرة فى دار الإذاعة يلقيها الدكتور « فيليب حتى » الأستاذ بجامعة برنستون ، والدكتور فيليب معروف منذ عاش فى بيروت بنشر أفكاره فى الجامعة الأمريكية ، ومعروف بكتابه فى تاريخ العرب ، وقد تحدث ليلتئذ عن المؤتمر المزمع عقده بأمريكا ، وقسم الإسلام إلى ثلاثة : دين وثقافة ودولة ، وقال إن المؤتمر معنى بالثقافة وحدها ، ولا شأن له بالدين ولا بالدولة ، وقال عن نفسه إنه المسئول عن موضوعات المؤتمر ، وإنه فى جولة للاتصال بالأعضاء الذين وجهت إليهم الدعوة والتفاهم معهم كل فى موضوعه . وكان من طريف ما ذكره الدكتور حتى — المسئول عن الكيان الفكرى للمؤتمر الأمريكى — فى معرض الإجابة عن بعض الأسئلة أن غالبية الجيش الذى هاجم به معاوية الحجاز كان من المسيحيين ، واستدل على ذلك بأنسكرتير معاوية وطبيبه ووزيره كانوا مسيحيين !! وأشار إلى كتاب — لا أذكر اسمه — منمهملات كتب التاريخ ! — زادنى ذلك اهتماما بالمؤتمر وبنتائجه المنتظرة ، سيما بعد أن علمت بأسماء بعض الفضلاء الذين وجهت الدعوة إليهم ، فعزمت على أن أتخذ الأهبة اللازمة لحضوره مستمعاً ، لا عضواً ، ولكن المؤتمر إذ علم بهذه الرغبة بادر إلى دعوتى مشكوراً قبيل موعد الانعقاد بأيام ، وكان فى مفهوم دعوته أننى سأعامل غير معاملة سائر الأعضاء : أى أن سفرى من مصر وتنقلاتى فى أمريكا على نفقتى الخاصة ، وقد كان ، وذلك طبيعى مادام ذهابى بناء على رغبتى الخاصة ، لا رغبتهم ، وكان ذلك حسبى ، ثم تكرمت جامعة برنستون فأضافتنى خلال عشرة أيام انعقاد المؤتمر ، وهى ضيافة أشكرها لها وأقدرها قدرها ، والحق أن الأستاذ الدكتور دودج كان لطيفاً دمثا مضيافا .

وغاية المؤتمر كما جاء صراحة فى رقعة الدعوة : « شهدت السنوات الأخيرة ازدياداً سريعاً فى العلاقات المختلفة بين شعوب البلاد الإسلامية والولايات المتحدة الأمريكية . ولقد تغير العالم فى السنوات العشر الماضية تغيراً جوهرياً ، بحيث أصبح من الضرورى إعادة النظر فى الأسس الثقافية لتلك العلاقات ، فليس بالإمكان لأى شعب من الشعوب أن يتفهم شعبا آخر دون أن يقف على مقومات حياته الروحية والفكرية بالإضافة إلى المقومات المادية . لهذه الاعتبارات تشعر معاهدنا ومؤسساتنا الأمريكية بأنه مما يساعدها على أعمالها ومما يكون عوناً للعلماء بوجه عام أن تدعى نخبة ممتازة من علماء الإسلام وقادته لتزور الولايات المتحدة وتعقد اجتماعات مع الخبراء الأمريكيين فى ميدان الحضارة الإسلامية . ويأمل القائمون على هذا المؤتمر أن يسفر اجتماع هذه الفئات المختارة عن ازدياد ملحوظ بين الأوساط الأمريكية فى فهم الثقافة الإسلامية والحركات الفكرية فى الإسلام . ومن المنتظر أن تؤدى الرسائل والأبحاث الناتجة عن المؤتمر إلى شق طرق جديدة فى البحث والتنقيب والتبادل الفكرى ، وبما أن هذا المؤتمر سيهىء فرصة لم يسبق لها مثيل من حيث الحرية التامة فى بحث الثقافة الإسلامية بمعزل عن السياسة ، فإن الفوائد المتوخاة ستكون بلا ريب عظيمة الأهمية » ..

تلك غاية المؤتمر كما أعلنها الداعون إليه ، وهى غاية تفصح عن نفسها إلى حد كبير ؛ وليس من السهل تحديد المدى الذى أدركه المؤتمر بعد جلساته العديدة فى تحقيق هذه الغاية ، فإن كثرة الموضوعات التى تناولتها البحوث جعلت من العسير الوصول إلى قرار بذاته فى أى موضوع ، وأظننى لم أر نية واضحة فى جو المؤتمر تستهدف قرارات محددة ، إلا أن يكون الذى استهدفته فعلا هو فهم الاتجاهات المختلفة فى كل موضوع ، وقد وجدت ولاشك طلبتها فى جلسات كثيرة ، ووجدت فيما وجدت اتجاها لعلها لم تكن تحسب له حسابه الواجب : أعنى الاتجاه إلى اعتبار الإسلام كلا لايتجزأ ، والإيمان به كنظام حياة كامل ، والإصرار على ذلك إصراراً أجمع عليه كثير من الأعضاء ، وبلغت حماستهم فى مطلع المؤتمر حداً خشى منه على مستقبل المؤتمر كله لولا أن نجح منظموه فى تلطيفها وفى رعاية « مشاعر » أصحابها فى توجيه المناقشات كلها بعد ذلك .

ولا نحب أن نأخذ على المؤتمر كثرة الموضوعات التى تعرض لها ، فذلك شأنه وحده ، وهى على أية حال تجربة أولى ، ولا نحب كذلك أن نأخذ عليه طريقته فى اختيار أعضائه الذين لايمكن أن يحققوا الصورة التى ذكرت فى رقعة الدعوة : « نخبة ممتازة من علماء الإسلام » وإنما الذى نحب أن نذكره ، ونعتبر ذكره من واجبنا إزاء ما جاء فى هذه الرقعة ذاتها من أن القائمين على المؤتمر يأملون أن يسفر عن « ازدياد ملحوظ بين الأوساط الأمريكية فى فهم الثقافة الإسلامية والحركات الفكرية فى الإسلام » هو ما يأتى :

أولا : إن ما ظهر لنا من حصيلة العلم عند كثير من العلماء الأمريكيين عن الإسلام ، يجب أن يعيدوا نظرهم فيه ، فإن مادرسوه من خلافيات علم الكلام والفرق الإسلامية وأعراف المسلمين لا يمثل الإسلام فى ذاته ولم يعد يمثل النهضة الحية الجديدة فى أقطار الإسلام ، ولعل بعضهم أحس بذلك فى البحوث(١) التى قدمها بعض الأعضاء المسلمين عن جمال أصول الإسلام وبساطتها ، وعن سعة آفاق الشريعة الإسلامية وخصوبتها . كما يجب عليهم أن يعيدوا قراءة التاريخ الإسلامى فى المراجع الإسلامية ، ولا يركنوا إلى مثل كتاب « تاريخ العرب » للدكتور فيليب ، وذلك

---

(١) قدم رئيس تحرير « المسلمون » للمؤتمر بحثاً ضافياً عن حركة « الإخوان المسلمين » عرض فيه فهمها للاسلام ورد على الشبهات التى تدور فى أذهان الغربيين .

مايقتضيه الإنصاف العلمي والرغبة الصادقة في فهم الإسلام والمسلمين . وقد ساءني أن أرى مثل هذا الكتاب مرجعاً رئيسياً لطلاب أقسام دراسات الشرق الأوسط في جامعات أمريكا ، وهم الجيل الجديد في صلة الأمريكيين بالعالم الإسلامي ! . ويكفي أن أذكر لهم هنا ماقاله الدكتور حتى حين سألته عن شيء كتبه عن الحركة الإسلامية . (وقد ترجم له الأستاذان إسحاق موسى الحسيني وعلى عبد الواحد وافى في كتاب « الإسلام في نظر الغرب » وأسمى فيه حركة الوحدة الإسلامية : حركة رجعية تستلهم الأفكار التي ترجع إلى القرون الوسطى ، ثم قال : إن الإخوان المسلمين يمثلون هذه الحركة في أسوأ مظاهرها) — سألته عما كتبه ، ولم أشأ أن أواجهه بالذي كتبه حتى يكون تفاهمنا في جو ألطف . فأدهشني أنه قال : إنني أسميتها رجعية بمعنى الرجوع إلى الكتاب والسنة بعيدين عن الخرافة ! ! وقد كان أولى به وهو مع واحد من الإخوان أن يصارحه برأيه توخيا للمعرفة ، لا أن يهرب هذا الهروب الذي يتنافى وروح البحث العلمي الكريم .

ثانياً : إن أكثر الساسيين وغير السياسيين الذين يتصلون بأمريكا عن طريق بعثاتها الدبلوماسية وغير الدبلوماسية لا يمثلون الأمة الإسلامية على حقيقتها ، وذلك يصدق في كل مكان حتى في تركيا ، ولا يغرن العلماء الأمريكيين ما ذهب إليه مندوب تركيا في المؤتمر فإنه لا يمثل في ذلك حقيقة الشعب التركي الذي بدأ رد فعله لحكم عصابة أتاتورك يظهر واضحاً منذ الانتخابات التي أسقطت عصمت إينونو بأغلبية ساحقة حين وعد مناوئوه أن يعيدوا للدين نفوذه في تركيا . ومن الوهم أن يذهب الظن إلى أن السجون والبطش يفلحان مرة ثانية في إيقاف هذا التيار الجديد . ولا يسأل عن خطر رد الفعل العنيف الذي يخشاه السياسيون « العقلاء » إلا أتاتورك « المجنون » ! .



وجدير بالذكر هنا أن أنصار هذا التيار الجديد كثيرون في الجامعات ، ومنهم كثيرون في السجون ، وهي ظاهرة ، إن دلت فإنما تدل على قوة الإسلام الذي يجب أن يفهمه الأمريكيون ، والذي يستحيل عليهم إن لم يفهموه ان يفهموا المسلمين . . . أقصد جماهير المسلمين الذين إليهم المآل في صناعة التاريخ . . . غدا أو بعد غد ، لا الحفنة من السياسيين الذين قطعهم الحكم الاستعماري في أكثر ديار الإسلام عن دراسة دينهم وتاريخهم ومقومات شعوبهم ، وجعلهم بذلك صنفاً غريبا لا يمثل شرقاً ولا غرباً ، وإنما يمثل الذبذبة الطارئة في حياة المسلمين : الذبذبة التي تعتبر ثمرة الحكم الاستعماري الطويل ، وهي ذبذبة لا بد أن تنتهي ، ولا بد أن ينتهي هؤلاء بنهايتها ، ونهايتها ونهايتهم معها تبدو طلائعهما من وراء الغيوم البارقة المرعدة في آفاق العالم الإسلامي جميعه ! ولا يغرن أحداً بطء هذه الغيوم ، فإن من أمثالنا العربية « القديمة » التي لم تخطىء قط : « أبطأ السحب أملأها » ! !

ثالثاً : إن كل محاولة للتقرب من العالم الإسلامي ، وإن كانت على أسس ثقافية ، يقف دونها في الواقع أخطاء السياسة الأمريكية المتتالية ، ولن يثق المسلمون في مندوبيهم إلى مؤتمركم أيها العلماء الأمريكيون إلا بمقدارما يصدق التجاوب بين السياسة الأمريكية وبين ما تبدونه من روح الود والحرص على صداقة المسلمين وهي روح نشكرها ولاشك . أما أن تمضي أمريكا في موكب الطغاة فتحابي مرة فرنسا الغاصبة في خلعها لسلطان مراكش وتعترف بعميلها المفروض ، ثم تدلل إسرائيل تارة أخرى وتفرض علينا الإذعان لعدوانها وتتظاهر بمنع إعانتها مظاهرة هي أمعن في التدليل . . . . ، وغير ذلك كثير ، فإن ذلك أمر لا يقوم معه ود . . وإذا كانت أمريكا تجد في قيام إسرائيل واقعاً يجب قبوله ، وهذه كل حجتها مع العرب ، فإن نفس هذه الحجة تجعل المسلمين يطالبون كل من ينشد

صداقتهم بدليل من الواقع بين يديه ، ولا يغنى فى ذلك ما قاله الرئيس أيزنهاور لمندوبى المؤتمر من أن « أمريكا ناشئة ولها أخطاء فى عالم السياسة ، ولكن الثقافة تستطيع أن تحقق مالا تحققه السياسة فى صلات الناس بعضهم ببعض » إن الذى قاله ايزنهاور حق بشرط واحد : هو أن تستجيب السياسة للثقافة لا أن تستغل الثقافة لحسابها !

وبعد ، فإننا نشكر لجامعة برنستون ومكتبة الكونجرس حفاوتهما بالمندوبين جميعا ، وإنما ذكرنا ما ذكرناه أداء لواجبنا نحو الإسلام والمسلمين ، ونحو المؤتمر الذى حضرناه .

فلسطين :

علمت الدنيا قصة قرية قبية الفلسطينية ومصرع إخواننا فيها ، وهى واحدة من اعتداءات متصلة تقدم عليها إسرائيل المدللة مستهترة بالعرب والمسلمين جميعاً ، وبهيئة الأمم التى يحتجون لديها ، أما الرأى العام العالمى فهو مضلل لا يعرف لنا حقاً ولا كرامة ، وبيد اليهود أزمة قيادته الحقيقية سواء فى السوق الاقتصادية أو عن طريق وكالات الأنباء والسينما والراديو والتليفزيون ومن ظن غير ذلك فقد خدع نفسه . وهذه الضجة المفتعلة بمحادثة قبية — على بشاعتها التى اعترفت بها الصحف العالمية مثل مجلة « التايم » الأمريكية — تنجاب عن لا شىء ، بل عن دليل جديد على أن قوة العدوان أرجح فى ميزان هذا العصر من نصاعة الحق . . . . إن العدوان القوى فى عرف ساسة هذا العصر الكبار هو الحق ما دام قائماً وعلى الضعيف المغلوب أن يقبله ويكون معقولا ، ومعنى فكرة السلام فى الشرق الأوسط أن يغلق العرب أعينهم عن دم إخوانهم المهراق ، وأن يصموا آذانهم عن صراخ الأرامل والثكالى والأيتام والمفجوعين كل يوم ، وأن ينسوا قرابة تسعمائة ألف مهاجر فلسطينى أخرجوا من ديارهم بغير حق ، ليفتك بهم الجوع والعرى والمرض ولسع البرد والذل المرير ، وأن يتخلوا قبل كل ذلك وبعده عن كرامتهم كأمة اغتصب جزء من أرضها بالحديد والنار لتقوم فيه دولة متوحشة على أنقاض جثث بريئة ودم عزيز وأعراض منتهكة .



ما هذا العبث ؟ .

وماذا تظن إسرائيل ؟ لعلها تنتظر أن يؤدى عدوانها إلى صلح يفرض فرضاً على الأقطار العربية ! وذلك ما ردده بن غوريون وسفيرا العدوان الصهيونى فى لندن وو شنطن ، وما قاله مندوبها فى هيئة الأمم ؛ وشاعت نغمة هذا الصلح المزعوم تلبس للرأى العام العالمى مسوح الرهبان ، وتنسب عدوان إسرائيل إلى التوتر الشديد الذى تسببه خصومة الدول العربية المجاورة (! !) وعدم رغبتها فى إقرار السلام بصلح ينهى النزاع إلى الأبد ! !

ومن عجب أننا وجدنا كثيراً من الساسة الأمريكيين يتحدثون عن هذا الصلح ، يتحدثون منه كما لو كانوا يحتسون كأساً من الخمر ! فلما قلت لهم إن ذلك وهم شديد ، أصابتهم دهشة عجبت لها ، وقالوا : ولم ؟ أليس ذلك خيراً من الاعتداءات المتكررة ، ومن الحرب التى إن وقعت فسيتأذى بها العرب واليهود ؟ قلت لهم : لأن مطالبة العرب بالصلح مع إسرائيل كمطالبتكم لصاحب منزل طرده لص معتد بأن يصطلح مع اللص لأن الصلح خير من معركة يتأذى منها كلاهما ! قالوا كيف ؟ قلت لهم : إن المشكلة الأولى هى مشكلة تسعمائة ألف مهاجر من حقهم أن يعيشوا ، ومن حقهم أن يعودوا إلى بلادهم التى أخرجوا منها بغير حق ليعيشوا فيها آمنين ! قالوا : نحن نعينهم ونمدهم بما يحتاجون إليه . قلت : إنهم يعانون بؤساً تشيب له رؤوسكم لو تعلمونه ، ثم إن من حقهم الذى لا شك فيه أن يعودوا إلى وطنهم ! قالوا : وهل يقبلون العودة تحت حكم إسرائيل ؟ قلت لهم : لقد قلت لكم إن من حقهم أن يعيشوا آمنين . . . ولا أمن تحت حكم الذين

طردوهم من ديارهم بعد أن قتلوا آباءهم وأبناءهم وإخوانهم ! قالوا : معنى ذلك أن تنتهى إسرائيل ! قلت لهم : هذه نتيجة المنطق الذى يمليه العدل الواضح فى قضية فلسطين . قالوا : ولكن إسرائيل قائمة ويجب أن تعيش ! قلت : إنها قائمة على غير أساس يمكنها به أن تعيش ، فالعدوان لا يمكن أن يثمر وضعاً شرعيا للمعتدى ، ولا يمكن أن يكون معه سلام ؛ ثم إنها على أرض ليست لها ، وبين قوم يرون وجودها خطراً دائماً يهدد أمنهم وكرامتهم ، وفى بقعة من الأرض لا تكفى فنيا — حسب تقرير الخبراء — للعدد الضخم النازح إليها من العالم كله ، فهى بين أمرين : بين أن تضطرها الحاجة لتصريف منتجاتها فى أسواق الشرق الأوسط إلى اعتداء على نطاق واسع ، ومعالجة ذلك من مهمتنا نحن وحسبنا فى ذلك أن تقف الدول الكبرى على الحياد ؛ وبين أن تظل تعتمد على التسول الذى لا يمكن أن تستمر به دولة فى مثل ظروف إسرائيل ! ! قالوا : بقيت فكرة الصلح قلت : إذا استبان لكم وجه العدل فى القضية لم يبق ما يسوغ لكم أن تنتظروا من العرب أن يقروا المعتدى على عدوانه وأن يمكنوه من أن يستمر فيه ، وأصبح من السهل عليكم أن تفهموا لماذا يعتبر العرب مجرد التفكير فى الصلح أعظم خيانة ترتكب فى تاريخهم الحديث .



وهنا قال أحدهم : معنى ذلك أن الحرب لا مفر منها وهذا شىء مخيف . قلت : ومن المسئول ؟ نحن أم الذين فرضوا علينا الهدنة الأولى وقد كدنا نقتل العدوان فى مهده ولم نكن نطلب منكم إذ ذاك إلا أن تقفوا على الحياد بين اللص وصاحب البيت الأصيل ؟ !

هكذا أو قريبا منه كان يدور الحديث عن فلسطين مع من اتصل بى من الأمريكيين ، ولكن الواقع أقسى من ذلك بكثير . الواقع أن سلطان اليهود آخذ بخناق أمريكا كل مأخذ فالاقتصاد لهم ، والصحافة والإعلان تحت سلطانهم ، وشركات السينما الكبرى شركاتهم ، وأينشتين وأوبنهايمر رئيس الاكتشافات الذرية منهم — وهكذا . . وهكذا ، حتى إن مستر جون فوستر دالاس وزير خارجية أمريكا حين اشتدت الحملة المفتعلة عليه بسبب مظاهرة قطع الإعانة عن إسرائيل صرح بأن الحقيقة أنه لم يحدث قطع بالفعل لأن المال المخصص للاعانة لم يقدم بعد وإنما هو إجراء سيتخذ إذا لم توقف إسرائيل فى هذه الظروف نشاطها فى تنفيذ مشروع المياه ، وقد وعد الطفل المدلل فعاد كل شىء إلى ما كان عليه وسارعت هيئة الأمم إلى الموافقة على اقتراح فرنسى بشكر وتقدير إسرائيل !

* * *

يا ساسة العرب والمسلمين : أحكموا المقاطعة ، ونظفوا أوضاعكم ، وقووا جيوشكم ، وتربصوا ليوم لا مرد له .

أندونيسيا :

تطورت الحوادث فى أندونيسيا تطوراً أهم المسلمين وأقلقهم ، فإن مولد أندونيسيا ، المستقلة بعد باكستان كان أملا ثانياً فى أفق العالم الإسلامى ، واستقرار الأمور فيه أمنية كل مسلم . وليس فى وسعنا حتى الآن أن نعلق على ماحدث ، إذ أن أكثر ما لدينا من معلومات جاءنا عن طريق وكالات الأنباء . وكل ما نستطيعه اليوم هو أن نناشد الرئيس سوكارنو كما ناشدناه من قبل أن يكون جريئاً فى اتخاذ موقف يعالج حاجة الشعب الروحية إلى أساس لبنائه الجديد والإسلام يكفل هذا الأساس للمسلمين ، وهم غالبية الشعب الساحقة التى بذلت دمها لاستقلال البلاد . فحرام أن نحرم هؤلاء من أعز شىء عليهم فى سبيل ما يظن أنه مرضاة لإخواننا غير المسلمين فى أندونيسيا . حرام

لأنه ليس من حقنا ، وحرام لأن الإسلام خير حام لحقوق غير المسلمين ، وقد كان خيرا من ذلك أن نطمئن الأقليات على كافة مصالحها وحقوقها ، وأن نجعل الإسلام فى يدها درعاً تتقى به كل ما تخشاه من افتئات عليها ؛ ولو أننا فعلنا هذا لاجتمع الشعب الأندونيسى كله ، ولكانت الأغلبية المتماسكة خير ضمان للأقلية المواطنة ، اللهم إلا أن يكون سيئو الظن بالإسلام مصرين على سوء ظنهم ، أو أن يكون الأمر حقداً على الإسلام ، وفى الحالتين لا نظن الدكتور سوكارنو واجدا شيئاً يحترمه أو يعوق طريقه وهو من نعلم قوة نفس وإرادة ، وعلى فخامته أن يذكر أنه اليوم ملك لأندونيسيا كلها لا للحزب الوطنى ، وأننا نعيش فى حومة صراع فكرى لا بقاء فيه لأمة لا رسالة لها ، وليسمح لى أن أذكره كذلك بكلمة قالها لى فى لقائنا الأخير « كما صارعت للاستقلال سأصارع لمجد الإسلام » إن خطوة جريئة منه اليوم قد ترد التوازن إلى حياة أندونيسيا وتحفظها مما تخشاه عليها ، وهذه الفترة من تاريخها هى الفترة التى تحتاج إلى صراع سوكارنو فى سبيل مجد الإسلام .

باكستان :

قرر مجلس الدستور الباكستانى أن تصبح باكستان جمهورية إسلامية ، وقد جاء هذا القرار تعبيراً عن رغبة الشعب الباكستانى الذى لم يفهم سبباً للتقسيم ولا لضحاياه إلا أن تتاح له حياة إسلامية كريمة تنقذ مواريثه الخاصة التى هددها الاستعمار الإنجليزى وتعصب الهندوك . وكانت الطليعة الأولى فى هذا السبيل قرار مشروع الأهداف الذى أصدره المجلس الدستورى منذ ثلاث سنين ، وقرر فيه أن يصبح القرآن والسنة أساس دستور باكستان الجديد ، وتعلقت منذئذ آمال المسلمين فى كل مكان بالدولة الناشئة ، وأصبح اسمها على كل لسان ، وظلوا يترقبون آثار هذا القرار العظيم ، ويستقبلون كل جديد من أخبار باكستان بآذان متفتحة وقلوب خافقة ، وهم هؤلاء يرحبون بالقرار الجديد بعد طول انتظار ، ويدعون الله أن يلهم القائمين على أمر باكستان الخير ، ويجمع شمل أمتها العزيزة ، ويحقق فيها آمال المسلمين .

أما خروج الأعضاء الهندوك من المجلس بسبب هذا القرار ، فهو أمر لا نجد له تفسيراً كريما يحقق مصلحة الأقلية الهندوكية فى باكستان ، فإنها اختارت الإقامة فى باكستان وهى تعلم أنها دولة إسلامية ، وأن الإسلام يحمى حقوق الأقليات حماية كاملة ، وقد نص قرار الأهداف على ذلك صراحة ، فما معنى هذه الثورة المفاجئة فى المجلس ؟ وما معنى أن يخرج واحد منهم ليصرح تصريحا مضللا عما أسماه دولة تيوقراطية فى باكستان ، وهو يعلم تماما ، وسمع مرارا ، من الساسة الذين أنشأوا باكستان أن الحكومة (التيوقراطية) بالمعنى الذى يفهمه الغرب من هذا الاسم لا يعرفها الإسلام ؛ إذ ليس فى الإسلام قديسون يحتكرون الأوامر الإلهية والحكم باسم الله ، وإنما تحكم الأمة بقواعد الاسلام حكماً يباشره ممثلون للشعب تمثيلا صحيحاً تراعى فيه الكفاية اللازمة لذلك كما تراعى إرادة الشعب فى اختيار من يمثلونه .

وبعد ، فقد بقى أمران : أولهما : أن تحدد باكستان علاقتها (بالكومنولث) تحديداً يحقق مصالحها وثقة العالمين بها وثانيهما : أن يكتب الدستور كله وتصدر القوانين بعد ذلك فى ضوء قرار الأهداف الأول ، ودون ذلك عقبات نعلمها ولكننا واثقون من أن رجال الباكستان سيجدون فى الهدف الكبير الذى أمامهم وفى مشاعر الأمة المشبوبة حباً للاسلام وحرصا عليه أكبر عون على كل العقبات التى تعترض طريقهم .

نفتتح هذا الباب باللغة الإنجليزية استجابة لرغبة كثير من إخواننا المسلمين فى أقطار لا تتكلم العربية ، وتقديراً لحرصهم على الاتصال بمجلة « المسلمون » ، حتى إن منهم من اشترك اعتزازاً بهذه الصلة فقط ، ونحن نعدهم أن تكون هذه الصفحات القليلة محاولة لتهيئة أسباب إصدار « المسلمون » باللغة الإنجليزية ، وبغيرها إن تيسر ذلك . والله المستعان .

ولعل هذه الصفحات كذلك تعين شبابنا الدعاة على ممارسة الدعوة بهذه اللغة ، سواء منهم المقيمون فى ديار العروبة مع من يلتقون به من المتحدثين بها ، أو المقيمون فى خارجها حيث لا بد لهم من تبليغ دعوة الله بها .

ولا يفوتنا فى تقديم هذا الباب أن نؤكد الحاجة إلى نشر اللغة العربية فى أقطار الإسلام فإن ذلك أعون على الاتصال بلغة الوحى ونبيه دون حجاب ، وعلى اتصال المسلمين بعضهم ببعض دون ترجمان . . . وما أكثر ما تظلم الترجمة ويُتعب الترجمان .

If one were to observe closely the state of humanity one would only find restlessness, amazement and uneasiness, whether it be in countries which follow a heavenly religion or a religion of their own. The world has lost faith in everything and lives in a state of turmoil and anxiety because there is no belief or aim to shelter it.

Since the sixteenth century, Europe and America have left behind all their old beliefs in divinity and have turned to science and knowledge, and we see this newly erected god reach the summit of his strength in the eighteenth and nineteenth century, and men in their despair doubt that this god of science was as solid and as true as they had hoped him to be.

But in the twentieth century we see the throne of this god begin to sway because of his everchanging state, for science has no everlasting theory and it often destroys today what was thought to be permanent yesterday.

Thus we see that this new power is surrounded by a hazy mist of unbelief and suspicion because of its destructive nature. We see it claim that all that has no element cannot be considered a reality, but after the destruction of the atom we feel it shrink away under the perplexed look of misbelieving eyes. Thus humanity has grown to lose faith in this new god who lacks an aim and faith in himself.

(to be continued).

"Wishest thau to appreach God ?
Live purley, and act righteously".

Jalaluddin Rumi.

HUMANITY NEEDS US

By Sayed Kutb

Translated by Midhat Hafez *

Islam has grown to be as much a necessity to all humanity as it is to the Islamic world.

Truly, the Islamic world which occupies the large stretch of land between the shores of the Atlantic to the shores of the Indies and the Pacific, besides its spreading into the heart of Europe, Africa and Asia; is in need of applying the rules of Islam; for without Islam it can never hope to acquire a real existence. But this does not include the greater need of humanity for the wisdom and beauty of Islam. Whether humanity is aware of that fact or not does not change things, for the need of the patient for medicine and medical treatment does not depend on his being aware of that fact. We often see the patient refuse medicine, shrink away from the doctor, and even go so far as to claim to be fit and healthy when what he needs most is medicine and the doctor's treatment.



G. N. Denison in his book, "Emotions as the Basis of Civilization" describes well the period before the coming of the holy Prophet when he says, "In the fifth and sixth centuries, the civilized world stood on the verge of chaos. The old emotional cultures that had made civilzation possible, since they had given to man sense of unity and o reverence to their rulers, had broken down and nothing had been found adequate to their place.

" It seemed that the great civilzation which it had taken four thousand years to construct was on the verge of disintegration, and that mankind was likely to return to that condition of barbarism where every tribe and sect was against the net, and law and order was unknown . . . The old tribal sanctions had lost their power. The new sanctions created by Christianity were working division and destruction instead of unity and order . . . Civilization like a gigantic tree whose foliage had over reached the world ... stood tottering . . . rotted to the core . . . Was there any emotional culture that could be brought in to gather mankind once more into unity and save civilzation ? "

Then speaking of Arabia, the learned auther says:

"It was among fhese poeple that the man was born who was to unite the whole known world of the east and south. Humanity today is in no better plight though the causes may differ."

---

* See "Al- Muslimoon", Vol. 2, No. 10, P. 975 : «حاجة البشرية إلينا».

«أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ
وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ»

"Has not the time arrived for the believers that their hearts in all humility should engage in the rememberance of God and of the Trust which has been revealed on them and that they should not become like those to whom was given Revelation aforetime, but long ages passed over them and their hearts grew hard ? "

(4) Believer: He is the happiest on the earth. While others had been captivated by the outward brilliance of the material aspect of life ... this fourth refused to be a mudslave. He sincerely submitted himself to the whispering reality in his spirit and exerted himself to the utmost to be pure enough to taste it and to submerge his whole being in the divine spark within him. He suffered much but he could at last succeed. He is now a heart beating with sweet Divine qualities and attached truly to his Lord. It is for him and for him alone that God hath said:

« وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى
وَإِلَى اللهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ » .

"Whoever submits his wholeself to God and is doer of good, he has grasped indeed the most trustworthy handhold; and with God rests the End and decision of all affairs".

Who Are You ?

It is now up to you, my dear, to choose for yourself ... You know your ownself more than any one else .Can you find out "Who are you from among these four types?" and "Whom do you prefer from among them?" It is for you to think and decide.

« وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَمَا تَكُونُوا يَأْتِ
بِكُمُ اللهُ جَمِيعاً إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » .

"For each is a goal to which God turns him. Then, strive together (as in race) towards all that is good. Wheresoever you are, God will bring you together, for God hath power over all things."

(to be continued).

بسم الله الرحمن الرحيم

محتويات هذا العـــدد

صفحة

بين يدى العام الجديد ... ١
هذا القرآن ... لفضيلة الأستاذ حسن الهضيبى ... ٥
الجامعة الإسلامية ... لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد أبى زهرة ... ٩
نظام ربانى ... للأستاذ سيد قطب ... ١٥
رسالة من محمد أسد « ليوبولد فايس » ... ٢٤
يا بنتى ! ... للأستاذ على الطنطاوى ... ٢٦
الوقت هو الحياة ... للامام الشهيد حسن البنا ... ٣٣
من فقه القرآن والسنة ... للأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى ... ٣٥
الحقوق الشخصية الشرعية وقانون العقوبات للأستاذ عبد القادر عودة ... ٤٠
الإسلام والعلاقات الدولية ... للأستاذ مصطفى الحفناوى ... ٤٧
خاطرة : يوم على هذا المنوال ... ٥٣
الشرق الأوسط الإسلامى فى دور انتقال للأستاذ الدكتور محمد ضياء الدين الريس ... ٥٤
مولد النور « قصة تمثيلية » ... للأستاذ على أحمد باكثير ... ٦١
حول السياسات الاقتصادية ... للأستاذ عيسى عبده إبراهيم ... ٧٢
الغزالى مفكر جامع ... للأستاذ الدكتور رضا زاده شفق ... ٧٨
إن لبدنك عليك حقا ... للأميرالاى الدكتور أحمد الناقه ... ٨١
باب الكتب : نقد وتعريف ... ٨٥
مع العارفين : عون بن عبد الله ... ٨٩
العودة « شعر » ... للأستاذ محمود حسن إسماعيل ... ٩٤
فى أفق العالم الإسلامى ... ٩٧

What Are You ? . . . . By the Editor 1
Humanity Needs us . . . . By Sayed Kutb 3

الفهرس ... ١٠٨

مطابع دار الكتاب العربى بمصر

WHAT ARE YOU?

By the Editor

— 1 —

Different Kinds of men

Men in this vast world are divisible into four types:

(1) Infidel: Limited to his ownself, feeding upon his own desires, incapable of looking beyond himself to witness the richer glory of the cosmos and its Creator, he has denied himself the joy of taking high ideals and divine qualities, and thinks of nothing but of eating, drinking and enjoyiug whatever he can. Of him the Quran says:

« والّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ »

"Those who reject God, will enjoy this world and eat as cattle eat, and the fire will be their abode."

(2) Deviating: Just because once he was born in a Muslim family the title of a Muslim continues to be attached to him, but it is only the label and the name that connect him with Islam. He transgresses all limits, falls a prey to his lust and degenerates himself to lowly wickedness. It is about such a man that the Almighty declares:

« اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الخَاسِرُونَ » .

"The Evil one has got the better of them, so he has made them lose the rememberance of God. They are the party of the Evil one. Truly, it is the party of the Evil one which shall be the loser."

(3) Superficial Muslim: This third, is, no doubt, nearer to the truth, but still he is underage. You can find him saying his prayers regularly, reciting Quran loudly and defending Islam fanatically. But when you try his depths you will find in all these religious performances that his heart is absent, his spirit is languid and his motions are only mechanical. For such as him was the warning revealed by God: